نبـــع العطـــاش

شـعـــر

محيي الدين خـريّـف

الكويت

2012

أعدّه للطباعة وراجعه

محمود البجالي

ريـم معروف

الصـف والتنـفيـذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة لمؤسسة

جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الإخـراج وتصميـم الغـلاف

محـمـد العـلـي

طبعـــة خاصـة

بترخيص من أصحاب الحقوق بالتزامن مع احتفال المؤسسة

بالمهرجان الخامس لربيع الشعر ٢٥ و٢٦ و٢٧ مارس ٢٠١٢

حقـوق الطـبـع محفوظـة لأصحابها

هاتف: 22430514 - فاكس: 22455039 (965+)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصـديـر

يعتبر الشاعر محيي الدين خريِّف من كبار شعراء العربية في القرن العشرين، وإذا كانت تونس قـد أعطـت للشعر العربـي صـاحب البيـت الشـهير: «**إذا الشعب يومًا أراد الحياة...**» أبا القاسم الشابي، فإنها لم تتوقف عنده، بل استمرت في إنجاب عدد من الشعراء المهمين في المسيرة الشعرية العربية..

وقد تنبهت مؤسستنا منذ وقت مبكر لإنجازات محيي الدين خريّف فأعطته جائزتها الكبرى عام ١٩٩٢ مقدِّرة جهوده وعطاءه الثرّ، حيث قدم للشعر العربي تسع عشرة مجموعة شعرية..

وقد أشادت الدراسات الكثيرة التي تناولت شعره وحياته بالدرس والبحث إلى أنه بدأ كتابة الشعر عام ١٩٤٩ واستمر على ذلك حتى وفاته عام ٢٠١١م..

وإيمانًا من مؤسستنا بأهمية التنبيه لجهود الشعراء البارزين والثناء على ما قدموه للأمة كلها من فيض قرائحهم، رأت المؤسسة وهي تنظم الموسم

الخامس من مهرجان ربيع الشعر في مارس ٢٠١٢ الاحتفاء بالشاعر الكبير محيي الدين خريّف والأديب الكبير الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري..

وضمن هذا الاحتفاء نقدم هذا الديوان الذي كان مخطوطًا ومحفوظًا لدى أسرته التي قدمته لنا واعتنينا بنشره وتقديمه هدية لتونس الجديدة القديمة وللثقافة العربية تحية من الكويت وحركتها الأدبية والثقافية..

عزيزي القارئ..

أرجو أن تجد في هذا الديوان ما يفيد ويمتع.

والحمد للـــه،،،

عبدالعزيز سعود البابطين

٢١ مـن ربيع الآخـــر ١٤٣٣هـ

الموافق ١٤ من مـارس ٢٠١٢م

****

ذهـابٌ وإيـــاب

نمـضـي ولـيـلُ الـشَّـــوقِ لا يمضـي
ونـــعـــودُ مِـــن سِـــنَـــةٍ إلـــى غَـمْـضِ
جـــــرحٌ قـــــديمٌ بـــــاتَ يُـسْـهِـرُنـا
وهـــوًى جـديـدٌ جَـــدَّ فـي الـرَّكـض
ألحـــانُـــنـــا أبـــــــدًا تُمـــزِّقُـــنـــا
وطـمـوحُـنـا يـهـفـو إلـــى الـــرَّفْـــض
إقْـــضِ بمـا قَـــدْ شِـئْـتَ يـا زمـنًـا
مـــا زال فـــي أعـقـابِـنـا يـقـضـي
اقْـــطـــعْ يـــدًا كـانـت تُـبـارِكُـنـا
أهـــــرِقْ دمًـــا أزكـــى مِـــنَ الأرض

✱✱✱✱

الشِّفاهُ الظِّماءُ

أنــتَ فــردٌ وأنــا فــي الــنَّــاس ثـانـي
فـمـتـى تُـــدْرِكُ مَـعْـنـاكَ المـعـانـي
كُـلَّـمـا الـغَـيْـتُ قـلـبـاً عـاد لـي
مـنـكَ قـلـبٌ يَـقْـتَـفـي عُـمْـرَ الـثَّـوانـي
لـمْ يَـــزَلْ يَـحـمـلـنِـي فـي نَـــزَقٍ
لـمـغـانٍ دونـهـا كُـــلُّ المـغـانـي
هـو شـــرقٌ وأنـــا شـــرقٌ ومَـــنْ
مِـثْـلُـنـا يـبـقـى عـلـى مـرِّ الـزَّمـانِ
نمـتـطـي المـجـهـولَ حـتَّـى نـلـتـقـي
بـعـدَ وهـــنٍ بـأمـانـيـنـا الحِـسـان
عـنـدمـا تـنـطـلـقُ الـكـلـمـةُ مِـن
شَـفَـةٍ ظَـمْـأى ومِـــن صَـــدْرٍ يُـعـانـي
ويـعـودُ الـــدَّهْـــرُ طـفـلاً بـاسـمًـا
يـنـشـرُ الـفـرحـةَ فـي كـلِّ مـكـان

****

المبعـــدون[1]

اصْـــدَعْ فـبـعـدَ الأمـــسِ يـــومٌ جـديـدْ
تـــأكـلُ فـيـهِ الـــنَّـــارُ قـلْـبَ الـــحَـديـدْ
يـطـلـقُ مَـــن قَـــدْ كـــان فـــي أَسْـــرِهِ
مُـكَـبَّـلاً بـالـصَّـمْـتِ حـتَّـى الـــجُـمُـود
ويـفـتـــحُ الأبـــــوابَ لـلـعـائـدِ الْـــ
ـمُـشْـتـاقِ مَـلَّـتْـهُ هـنـاكَ الـــحُـدود
وجـــهٌ كـمـا شـــاء الـــزَّمـــانُ لـه
أمـثـالُـهُ فـي صـفـحـاتِ الـــجُـدود
لا يـقـطـعُ الحـبـلَ ولا يـتَّـبِـعُ الـظِّـ
ـظِـلَّ ولا يـلـبـسُ ثَـــوْبَ الـعـبـيـد
يَـنْـشِـلُـنَـا مـــن وصـمـــةٍ مـا لـهـا
فـيـمـا أكـــالُـــوه لـنـا مـــن مَـزيـد
تمـشـــي بـنـــا الأيـــــامُ سـبَّـاقـةً
إلـــى الـــذي شَـــاءَتْ وشـــاءَ الـوجـود
فـــتـــارةً يَـقـذفُـنـا بَـحـرُهـا
وتـــــارةً تَـــطْـــرُدُنـــا بـالـحـشُـود

(١) قيلت في المبعدين الفلسطينيين إلى جنوب لبنان من افترشوا الثلج ينتظرون العودة.

ونحن لا ندفعُ بالشَّرِّ ما
قَدْ نابَ من ذُلٍّ وعسفٍ مريد
كأنَّما قَدْ خُلِقَ الشَّرُّ كَيْ
نلقاهُ مهما كان خَصْمًا عنيد
فَلَمْ نُجَرِّبْ دَفْعَهُ مَرَّةً
ولم نُذِقْهُ للعدوِّ الكَنُود
فما لنا غيرُ ادّعاءَاتِنَا
نُلْبِسُها مِن قَوْلنا ما نريد
تضحكُ منَّا الشَّمسُ ترمي بنا الْـ
أمواجُ يطوينا الظَّلامُ الشَّديد
فأينَ مِنَّا زمرةٌ لم تَزَلْ
تَصْفَعُ دهرًا غالَها بالصُّمود
تفترشُ الثَّلجَ وما جَمَّدَ الثْـ
ـثَلْجُ الدَّمَ القاني لها في الوريد
تُفْنَى انتظارًا هل تُرى دَهرَها
قَدْ كُبِلَتْ أيامُها بالقيود
أمْ أنَّها أكبرُ مِن لعبةِ الْـ
أيامِ أقوى من مرامي الحقود
سَلْهُمْ إذا ما جِئْتَهمْ زائرًا
أَسيدٌ غالَهُمُ أَمْ مَسُود
أمْ ظالمٌ ما زال في غِيِّهِ
يَغْمُرُ بالأحزانِ قلبَ الوليد

أقـــــولُ قـــــولاً لا أرى بَـــعْـــدَهُ
إذا دَعـــا الـــدَّاعـــي غـــدًا مِـــن مَـحِـيد
كـــونُـــوا كـمـا أنـتـم وكـالـصَّـــخْـــرِ فـي
سُـفـوحِـنـا يـشـربُ صـــوتَ الـرَّعـود
ونـــادمُـــوا الأرزَ فَـمَـن نـــادَمَ الأرْ
زَ فـقـد أمـســى بِـظِـلِّ الـــخُـلـود
وكـلَّـمـا أشْـــرَفْـــتُـــمُ سَـلِّـمُـوا
عـلـى روابـــي الـقُـدْسِ حُـلْـمِ البعيد
مـنـهـا أتَـيْـنـا وهـــي فـــي قَـلْـبـنـا
وبـــعـــدَ أيـــــامٍ إلـيـــهـا نـعـود
١٩٩٣/٢/٢٣

****

العيـــد

أيُّـهـا الـعـيـدُ قِـــفْ بـبـابـي قـلـيـلا
ربّـــمـا نـــوَّرَ الـــوقـــوفُ الـسَّـبـيـلا
فـيـكَ مـا فـي المـــروجِ مـن فـتـنـةِ الـسِّـحْـ
ـــرِ وقَـــدْ يُـبْـدِعُ الجـمـيـلُ الجَـمـيـلا
أَرجٌ لا أراهُ يَـــعْـــبِـــقُ إلا
فـــي زمـــانٍ قَـــدْ فَـــكَّ عـنـه الـكُـبُـولا
وأنـــا فـــي مَـتـاهَـتـي الـيـومَ مـا زلْـ
ـــتُ أرى الـنُّـــورَ خـافِـتًـا وضَـئِـيـلا
وانـتـظـاري يَـجِـبُّ قـولـي ومـــا كـا
نَ صـغـيـرًا قـد صـار شـيْـئًـا مَـهُـولا
أيـــهـــا الـعـيـد إنَّـــهـــم ودَّعـــونـــي
ومـــضَـــوْا والحـــديـــثُ صـــارَ طـويـلا

****

المقصـــورة

أســـيـــرُ ولـــو بُـــــدِّلَ الـــمُـنْـحـنـى
واسْـتَـسْـهِـلُ الـصَّـعْـبَ رغـمَ الـضَّـنـا
ومـــا ذاكَ مِـــن شـيـمـةِ الـعـاجـزيـنَ
ولـكـنَّـــه الـــعـــزمُ مـــا أنْ وَنَـــى
أسًـــى أنْ تـــرانـــي أمـــشـــي ولا
تـــرى مـــا يُـلاقـيـهِ مِـنِّـــي الأســـى
وَهَـــمـــيَ حُـــبٌّ بـقـلـبـي يـعـيـشُ
وفـــي الـلَّـيـلِ يـبـعـدُ عـنِّـي الـكَـرى
تحـمَّـلْـتُ مـا لـــمْ أُطِـــقْ حَـمْـلَـهُ
وأعـــجـــبُ مِـــن ذاكَ مـــا لـــمْ يُـــرَ
ويَـفْـضَـحُـنـي الـهـمـسُ حـين أبـوحُ
وأشـــفـــقُ مـــن لامـــعـــاتِ الـــمُـنـى
ويَـقْـتُـلـنـي الـصَّـمـتُ والـصَّـمـتُ نـارٌ
وحَـسْـبُـكَ مِـــن حـــرِّ نـــارِ الـلَّـظـى
وأمـــشـــي لـهـا وهـــي أبـعـدُ مِـنْـهـا
لأرتَـــشِـــفَ المـــاءَ بـعـد الـظَّـمـا
وألـــثُـــمُ وجـــهًـــا كـوجـهِ الـصَّـبـاحِ
وأقْـــطِـــفُ زهـــرًا كـــزَهْـــرِ الـرُّبـى

ولـكـنَّـنـي والـقـضـا بـيـنَـنـا
أُسَـلِّـمُ أمـري لِـكَـفِّ الـقَـضـا
لأنِّـي فـي الأرض كـنـتُ وكـانـت
بـعـيـدًا تـطـاولُ نَجْـمَ الـسَّـمـا
وأسـعـى لـهـا رغـمَ طـولِ المـدى
وأمـشـي لـهـا رغـم كـيـدِ الـعـدِا
وأُخْـبِـرُهـا عـن بـغـاثٍ تَـسـاقَـ
ـطَ فـي الأرضِ قَـبْـلَ حـلـولِ الـجَـنَـى
كِـثَـارٌ ولـكـن إذا مـا عَـدَدْتَ
فـلـيـسـوا هـنـاك ولـيـسَـوا هـنـا
كـبـارٌ ولـكـن بـأجـسـامِـهِـمْ
حـيـارى كـمـا احـتـار قَـبْـلُ الـقَـطـا
أَدِرْهـا عـلـى مـرِّ أيـامِـهِـمْ
ولا تـبْـقَـيَـنَّ عـلـى مَـنْ بَـقَـى
كـمـا اسْـتُـأْصِـلَـت دوحـةٌ فـي الخـريـفِ
وكـالـنُّـورِ فـي الـلَّـيـلِ لـمـا انْـطَـفـى
مَـضَـتْ كـلُّ أيـامِ أمـجـادِهِـمْ
وعـاجَ الـشَّـقـيُّ يُـجـيـبُ الـصَّـدى
أيـا أنـتِ يـا مَـن سـكَـبْـتِ الحـروفَ
رحـيـقًـا فـأَسْـكَـرَ كُـلَّ الـدُّنـى
وأطْـلَـعْـتِ أقـمـارَ مَـجْـدٍ تسـامـى
إلـى أنْ تـسـلَّـقَ كـلَّ الـذُّرى
أُجِـلُّـكِ عـن أنْ تـكـونـي عـقـيـمًـا
وأنْ يَـسْـتَـفِـزَّكِ بـردُ الـشِّـتـا

وأنْ تُصْبِحي سلعةً في المزادِ
لمنَ رامَ بَيْعَكِ أو مَنْ شَرَى
وأرضًا بها يرتعُ الغُرباءُ
ويضربُ أبناؤُها في العَرا
ومِن عنتٍ أنْ يموت الحبيبُ
ويحيا العدوُّ شديد القُوى
وتَسقُطُ جوهرةٌ في التُّرابِ
وتُعرضُ أصدافَهُمْ لِلمَلا
وإنِّي وإنْ كَثُرَ اليائِسونَ
وشاعَ حديثُ الضُّحى والمَسَا
وأمسيتُ جُرْحًا قديمًا وثأرًا
ينادي ويَصْرَخُ هلْ مِن فتى
فإنِّي لأؤمِنُ بالغيثِ يأتي
وبالرَّعدِ يوقظُ أهلَ القُرى
وأؤمِنُ بالخِيرةِ الطَّيبينَ
وهمْ صفوةُ النَّاسِ مِمَّن بقى
أُولَئِكَ لا المالُ أغْواهُمُ
ولا طَلبوا غيرَ كَسْبِ الثَّنا
وكم مرَّةٍ قد تحداهُمُ
الزَّمانُ فما فلَّهُمْ أو وَهَى
يُنيرونَ مثْلَ شموعِ الطَّريقِ
لمحو الظَّلامِ إذا ما دَجَا
ويغْمرهُمْ حُبُّ آبائِهِمْ
فأهلاً بذاكَ وأهلاً بِذا

فـلـيـسـوا كـمـن بـدَّلـوا ثـوبَـهُـم
وأَلْـهَـاهُـمُ الـزَّيـفُ فـيـمـنْ لَـهَـى
وضـلَّـوا الـطَّـريـقَ إلـى قَـصْـدِهِـمْ
وطـالـت بـهـمْ فـي المـسـيـرِ الـنَّـوى
فـلا عـرفـوا مَـن مـشـى قَـبْـلَـهُـمْ
ولا أدركـوا بَـعْـدَهُـمْ مَـنْ أتـى
وإنِّـي وإنْ كـنـتُ مِـنْـهُـمُ فـمـا
غَـويـتُ ولا شَـفَّـنـي مـن غَـوَى
ويَـعْـتَـلِـجُ الـشَّـوقُ فـي جـانـحـيَّ
إذا هَـدْهَـدَ الـشَّـوقُ أهـلَ الـهـوى
وأرجَـعُ أبـحـثُ عـن خِـدْرِهـا
وأرْمِـي بـنَـفْـسـيَ فـيـمَـنْ رَمَـى
وأَحـلـفُ بـالـشِّـعْـرِ غـضًّـا وبـالـزْ
زُهـورِ تَـفَـتَّـحُ بَـعْـدَ الـنَّـدى
بـأنَّـكِ أبـقَـى وأنَّـكِ أنـقـى
بِـكِ المـبـتـدا وبـكِ الـمُـنْـتَـهـى
١٩٩٢/٧/٢

****

بيتٌ له سبعةُ أبــواب

١ - الباب الأول

ولــمَّـا دخـلـتُ الـبـابَ نـاديـتُ أهـلَـهُ
فـجـاوَبَـنـي صـمـتٌ هـنـالِـكَ مُـطْـبِـقُ
لَـقَـدْ رحـلـوا والـبـيـتُ أصـبـحَ بـعـدهُـم
بـه الـنُّـورُ يـخـبـو والـرِّيـاحُ تُـصَـفِّـق
نـــوافـــذُهُ أركـــانُـــهُ حـجـراتُـهُ
تـعـيـشُ بـه الـذِّكـرى ويـحـيـا الـتَّـمـزُّق

٢ - الباب الثاني

إذا ما رأيتَ اليمامَ يطاردُهُ في الصَّباحِ المطرْ
فلا تتحدَّ الشِّتاءَ وقِفْ خاضعًا عند فردوسِهِ
وصوِّر بضوءِ النُّجومِ الشَّجَرْ
ولا تتناسَى المساءَ وقهوتَهُ
والرَّياحُ التي تتوافدُ في كلِّ حينٍ على بيتنا
وحديثُ السَّمَرْ

٣ - الباب الثالث

أنَدْخلُهُ وقد نَسِيَتْهُ بعد رحيلنا الأقدارْ
لِنُنْعِشَ ذكرياتِ الأمسِ بعد تفاقُمِ الإعْصَار
فدعهُ يصارعُ الأيامَ في إصْرارْ

فمن وله سنحضنهُ ونُخفيهِ عن الأنظارْ
ونبنيه كما قَدْ كان في إصْرارْ

٤ - الباب الرابع

لم أجد خَلْفهُ موعدًا
فرجعتُ أحبُّ الأحاديثَ في كلِّ وجهٍ أراهْ
لأنَّ الوجوهَ خرائطُ غُرْبَتِنا
ولأن الوجوهَ بحارُ متاهَتِنا
ولأن الوجوهَ حضورُ الحياةِ ببسمتنا
ولأن الزَّمانَ بها بعد حينٍ سيكبرْ
وما في الوجوهِ سَيُزْهِرُ أكثرْ

٥ - الباب الخامس

يلتقي فيه كلُّ بخيلٍ
ويرِّتلُ إنجيلهُ الفقر...
لا شيءَ يوحي بما خلفه غير ماضٍ بعيدْ
يُؤْرِقُهُ ويُؤْرِقُ مَن وَلَجَ البابْ
قَدَّ قميص الزَّمانْ
ففرَّقَ كلَّ الذي في يديهْ
وأمسى رهينَ المكانْ

٦ - الباب السادس

ينادي كلَّ مَن غابْ
ويحفرُ وحدهُ في الصَّمْتِ ذاكرةً
ليمتلئ الفراغ بكلِّ أشباحِ الفراغْ
أجَدَّ يومٌ أمْ مضى يومُ
فأين أبوكَ أين أبوكْ؟
أين كتابُهُ ماعادَ يقرأْ

طواهُ كما طوى أحلاميَ النِّسيانْ
فليس سوى هوًى تُخْفيهِ أركانُ
نقائضُ هذه الأشياءْ
تموتُ كما يموتُ الصَّوتْ
وسطَ مَجاهلِ الصَّحراءْ

٧ - الباب السابع

وكما مضى يمضي ولا يأتي
وتُثْقِلُ بالحنين شقوقَهُ
وأحملهُ تباريحًا
وأحملهُ.. وأحملهُ.. وأحملهُ
وكم ذا يسألُ الماضي عن الآتي
وكم ذا يسألُ الآتي عن الماضي
إذا كانت خيامُ العشقِ تبْلى
ينتهي العشقُ..
وما صُغْناه من نَغَمٍ يموتُ
على شفاهٍ جِدُّ جامدةٍ
فَخَلِّ الرياح تصفقُ الأبوابْ
سرابٌ ما تراهُ العينُ
أمْ أنَّ الحياةَ سرابْ

٨ - الباب الثامن مكتوب عليه بيت من الشعر القديم:

وقالوا نَـأَتْ فاختَرْ لكَ الصَّبرَ أو البُكا:
فقلتُ البكا أشْفَى إذنْ لِغَليلي
١٩٨٧/١٠/٢٠

****

لا... النَّاهيـــة

لا تَـلُـمْ مَـن كـان مِـثْـلـي يـلـومُ
رُبَّ لـيـلٍ ضـيَّـعَـتْـهُ الـنُّـجـومُ
طـابَ لـي أنْ اسـتـلـذَّ الـهـوى
رمْـتُـه لـكـنَّـهُ لا يَـروم
كـلَّـمـا عـالجـتُـهُ مَـرَّةً
عـاوَدَتْـهُ فـي الـظَّـلامِ الـهُـمـوم
طَـعْـمُـهُ طـعـمُ الـرَّحـيـقِ وفـي
كَـبـدي مـنـه اسـتـجـدَّتْ كـلُـوم
مُـصْـبِـحٌ.. مُـمْـسٍ.. مُـعـادٌ.. مُعيدٌ
إذا غَـطَّـتْ سـمـائـي الـسُّـدُوم
لـو عـلـى الـبـحـر تـرسَّـمـتـهُ
لَـبَـدَا كـالمـوجِ وهـنَّـا يَـعُـوم
أُمْـنِـيـاتـي بَـعْـدَهُ عـودةٌ
يـسـتـرحْ حُـبِّـي الجـديـدُ الـقـديم[1]
كـلَّـمـا ردَّدتُ أنـغـامَـهُ
رَجَّـعَ الأنـغـامَ بـعـدي الـنَّـسـيـم
هـو إنْـصـاتـي إذا مـا شَـدَا الـطَّـيْـ
ـرُ وغَـطَّـى الأرضَ نـبـتٌ عَـمـيـم

(١) هكذا ورد في الأصل.

يـــســـتـــوي فـــيـــه الـــتُّـــولُّـــهُ مـا
رُمْـــتُ فـــي الـغـيـبِ ومـــا لا أَرُوم
كـلَّـمـا قـلـتُ انـتـهـى يَـبْـتَـدي
كـالـسَّـنـا تـهـربُ مـنـهُ الـغُـيـوم
رغـــمَ نـــارِ الجـــرحِ هَـــدْهَـــدْتُـــهُ
واســـتـــوتْ جـــنَّـــتُـــهُ والجـحـيـم
إن يـكـنْ طـــالَ مـعـي عُـمْـرهُ
فَـهْـوَ كـأسـي والـشَّـذا والـنَّـديم
تحـتـفـي الـــذِّكـــرى بـــه كـلّـمـا
هَـــوَّمَ الـــشَّـــوقُ الـــذي لا يـريم
أيُّـهـا الـهـاتـفُ فـي أَضْـلُـعـي
أنـــتَ فـي سـمـعـيَ مـوسـى الـكَـلـيم
لـيـس تـخـلـو دارةٌ مـنـكَ ما
شَـعْـشَـعَ الخـمـرُ وراقَ الـشَّـمـيم
لا تـغـبْ عـنِّـي فـإنِّـي عـلـى الـ
ـعَـهْـدِ مُـذْ ضَـيَّـعْـتُ ودِّي مُـقـيم
١٩٨٧/٨/٢١

****

لـــــوم

لائِـــمـــي أقـــصـــرْ ولا تَـــلُـــمِ
فـلـقـدْ ضـاعَـفْـتَ مِـــن أَلَـــمِـــي
أنـــتَ لا تـــدري بمـــا فَـعَـلَـتْ
قـبـلـكَ الأيـــامُ فـــي الـلَّـمَـمِ
وَهْـــيَ فـــي أعـلـى طَـبَـائِـعِـهـا
تَمـــزِجُ الأكـــدارَ بـالـنِّـعَـم
أَطْـلِـقـيـنـي إنَّـنـي رَجُـلٌ
وَرِثَ الأحـــزانَ مِـــن قِـــدَم
شَـمْـسُـهُ بـالـعِـزِّ مُـشْـرِقَـةٌ
نجـمـهُ مـا زالَ فـي الـقِـمَـم
دارهُ فـــي كـــلِّ مـنـزلَـةٍ
حَـظُّـهُ فـي كُـلِّ مُـلْـتَـحِـم
عـابـدٌ يـخـفـي عـبـادتَـهُ
واثـــقٌ فـــي خـيـرِ مُـعْـتَـصِـم
عـاشـقٌ والـعِـشْـقُ ضَـيَّـعَـهُ
لابِـــسٌ مـنـه إلـــى الـقَـدَم
لا تَـسَـلْ عـن حـالِـهِ فـلـقَـدْ
بـاتَ مُـنْـذُ الآن فـي صـمَـم

١٩٩٣/١٢/٢٣

****

كبريـــاء

لـن تـنـالـي مـا عـشْـتِ مـن كبريـائـي
أنـــتِ أرضٌ بـعـيـدةٌ عــن سـمـائـي
حَـسْـبُ نـفـسـي بـأنَّـنـي هـضـبـةٌ شَـمْـ
ـــمَـاءُ وسْـــطَ الـعـواصِـفِ الـنَّـكْـبـاءِ
حَـسْـبُ نـفـسـي بـأنـنـي نجـمـةٌ بَـيْـ
ـــضـــاءُ فـــي جُـــنْـــحِ لـيـلـةٍ ظـلـمـاء
حَـسْـبُ نـفـسـي بـأنـنـي واحـــةٌ خَـضْـ
ـــراءُ فـــي مَـهْـمـهٍ مِـــنَ الـصَّـحـراء
لـكِ أنْ تـنـبـشـي الـدفـاتـرَ إنْ شِـئْـ
ـــتِ وأنْ تَـرْفُـضـي إذا لـمْ تـشـائـي
لـكِ أن تَـسْـرجـي الخـيـولَ وأنْ لا
تـصـرفـي داحـسًـا عـن الـغَـبْـراء
لـكِ أن تُـشْـعـلـي الـظُّـنـونَ وأنْ تَـبْـ
ـــتَـدِعـــي كـــلَّ كـــذبـــةٍ حَـمْـقـاء
ذاكَ أمـــرٌ لا يـنـتـهـي طـالـمـا مـا
كـنـتُ أنـا سـائـرٌ وأنـــتِ ورائـــي
فَـسِّـرِيـنِـي كـمـا يُـفَـسَّـرُ لـغـزٌ
مُـغـلَـقُ الـفـهـمِ ضـاربٌ فـي الـعَـمـاء

رغـم أنِّـي كـالمـاءِ فـي جَـام بِـلَّـوْ
رٍ شَـفـيـفٍ كـالـدَّمـعـةِ الخـرسـاء
بـيـنـنـا تـفـصـلُ المـسـافـاتُ لا ورْ
دُكِ وردي ولا انـتـمـائـي
قـدري أن أكـونَ مـنـكِ عـلـى الـقُـرْ
بِ بـعـيـدًا فـي سـاحـةٍ قَـفْـراء
أَتُـرَاهـا بـدايـةٌ لانـتـهـائـي
أمْ تُـراهـا نـهـايـةٌ لابـتـدائـي

****

اعتـــراف

أنـــامُ وفـــي دمـــي الحـــلـــمُ الـشَّـــهِـيُّ
وأصـحـو إذا صـحـا الـقـلـبُ الـشَّـجِـيُّ
إذا مـا ســرتُ ســار الـشِّـعـرُ خَـلْـفـي
ولـكـنْ أيـــنَ مِـــنْ شـعـري الـــرَّويُّ
زمـــانـــي لـــم يَـــعُـــدْ أبـــدًا زمـانـي
فـخـيـرٌ مـنـه مـا اعـتـنـق الخَـلِـيُّ
تـطـوفُ بـي المـنـازلُ حـيـث شـاءَتْ
ويَـغْـمُـرُنـي مـن المـوجِ الـعَـتِـيُّ
لأنِّـــي لا أُســيــمُ الخـسـفَ عَـمْـرٌو
ولا لـلـشَّـرِّ جَـنَّـدَنـي عَـلِـيُّ
وكـنـتُ بـهـا أهـيـمُ ولا أُبـالـي
كـأَنِّـي فـي هـواهـا الـعـامِـرِيُّ
أمـرُّ بـهـا وقَـدْ نَـزَعـوا كـسَـاهَـا
فـيـأخـذنـي الـقـوامُ الـسَّـمْـهـريُّ
وأمـضـي وهـي مـن حُـرقـي لَـظَـاهـا
فـلا فـرحٌ ولا نـومٌ هَـنِـيُّ
أُسـائِـلُـهـا فـلا تُـبْـدي جـوابًـا
ودونَ جـوابِـهـا الـبـلـدُ الـقَـصِـيُّ

وأمـــسـحُ وجْـهَـهـا فـي كُـلِّ فَـجْـرٍ
وفـــي الأجـــفـــانِ دمـــعٌ لـــؤْلـــؤيُّ
فـيـأخـذنـي ويمـــنـــعُ دمـــع عـيـنـي
صُـــمَـــاتٌ قـد أحـــاطَ بـهـا جَـلِـيُّ
أيـــا أمَّ الـذيـن بَـنَـوْا صُـروحًـا
لـهـا خَـضَـعَ الـمُـكـابـرُ والـدَّعِـيُّ
سـألـتـكِ بـالـهـوى طـفـلاً غـريـرًا
وبـالجـمـع الـــذي ضَـــمَّ الـنَّـديُّ
بـــأَنْ لا تجـعـلـي حَـظِّـي حـروفًـا
أُبَـعْـثِـرُهـا كـمـا يـلـهـو الـصَّـبِـيُّ

✱✱✱✱

وطـــن

لأَغْـــلَـــى بـــــلادٍ لأَحْـــلـــى وطـــنْ
كـتـبـتُ نـشـيـدَ الـهـوى والـشَّـجَـنْ
وعـــطَّـــرتُ بـــالـــشَّـــوقِ أفـــيـــاءَهُ
وأصْـفَـيـتُـهُ الـــودَّ يـــومَ الـمِـحَـن
كـمـا كـــان كـنـتُ غـريـبَ الـطِّـمـاحِ
أُنـــاجـيـــهِ فـــي سِـــــرِّهِ والـعَـلَـن
وأَرســـــمُـــــهُ فـــي ظـــلالِ الـعـيـونِ
وألـــفـــظُـــهُ فـــي عـمـيـق الـــوَسَـــن
وأُبْـــــــرِدُ مِـــن مـــائِـــهِ غِـلَّـتـي
وآوي إلـــى حُـضْـنِـهِ فـي الـزَّمـن
أحـــــسُّ بـــه فـــي دمـــي نَـــشْـــوةً
وفـــي خـاطـري لاعـجًـا مُـسْـتَـكـن
وأقـــــــرأُهُ فـــي جـبـينِ الـصَّـبـاحِ
وفـــوقَ الـقِـبـابِ وتحـــتَ الـفَـنَـــن
أراهُ إذا مـــا الـــزَّمـــانُ تَـوالـى
جـديـدًا مـدى الـدَّهْـرِ لا يُمْـتَـهَـن
يُمـيـتُ الـعـصـورَ ويُـفـنـي الـدُّهـورَ
ويـبـقـى كـمـا كـــان أو لـــم يَـكُـن

أَيَـــا تـونـسَ الـــحُـبِّ دُومـــي لـنـا
وكـونـي الـهـوى والـشَّـذا والـسَّـكَـن
وذُوبـــي اخـــضـــرارًا بـأَجْـفَـانِـنـا
ومـــاءً نمـيـرًا وصـــوتًـــا حَـسَـن
فَـضـائـي مـديـدٌ وحُـبِّـي كـبـيرٌ
ولـي فـيـكِ مـا نَـالَـنِـي مـن مِـنَـن
فـكـيـفَ أخـــونُ الـهـوى بـعـدمـا
تَـغَـلْـغَـلَ فـي مُـهْـجَـتـي وكَـمَـن

✱✱✱✱

قتـــلٌ[1]

مـــهـــلاً فـــلا يُـــحْـــزِنْـــكَ قـتـلـي
فـــزمـــانُ ثَـــــأْري لـــم يُـــوَّلـــي
مـــهـــلاً فـــإنِّـــي مُـــــذْ وُلِـــــدْ
تُ أنـــوءُ فـــي الـدُّنـيـا بِـحِـمْـلـي
تـــأتـــي الـــفـــصـــولُ وكُـــلَّـــمـــا
أرجـــــوهْ أن أحْـظـى بِـفَـصْـلـي
أمُّ الخُـــــطُـــــوبِ أنـــا وكَـــمْ
دُسْـــــتُ الخـطـوبَ أنـا بِـنَـعْـلـي
ورمَـــيْـــتُ فـــي بـحـرِ الـزَّمـا
نِ المـسْـتَـبِـدِّ بـكـلِّ ثِـقْـلـي
لا تَحْـسَـبـوا سَـيْـرِي تَـوَقُّـــ
ـــفَ بـعـدمـا عَـصَـفـوا بِـرَحْـلـي
أنـــا فـــي المـــدى مـــا زلـــتُ أقْـــ
ـــطَـعُ فـي طـريـقـي كُـلَّ حَـبْـل
وأرى بـــعَـــيْـــنـــي كُـــلَّـــمـــا
يَـــجْـــري ومـــا يَـــلْـــقـــاهُ مِـثْـلـي
لا لـــن أمـــــوتَ ولا أمـــوتُ
ولـــي هُـنـا مـا عِـشْـتُ نَـسْـلـي

(١) قيلت بمناسبة توقيع المعاهدة الفلسطينية الإسرائيلية.

فَـــسَـــلِ الـــتُّـــرابَ وهـــذه الْـــ
أرضَ الـــتـــي مـــــادَتْ بِـــأَهْـــلـــي
والـــبـــحـــرَ والـــزَّيـــتـــونَ والـــ
ـــمُـــدُنَ الـــتـــي بُـــنِـــيَـــتْ لأجـلـي
بِـــيَـــدَيَّ أمْـــسِـــكُـــهـــا وأَطْـــ
ـــلـــبُ قـبْـلَـتـي كَـيْـمـا أُصَـلِّـي
كُـــلُّ لـــهُ مـــا شـــاءَ، هَـا
نَ الأمـــرُ مـــن بَـــعْـــدِي وقَـبْـلـي
سِـــيَّـــانَ مَـــنْ كَـتَـبـوا ومَـــنْ
حَـضَـروا ومـن قَـدْ جـاءَ يُمْـلِـي
يـبـقـى الأجَـــــلُّ وفـــي غَـــدٍ
ســـــأَراكَ تَـــهْـــتِـــفُ لِـــلأجَـــلِّ
دَعْـــهـــا عـلـى مَـــهَـــلٍ وإنِّـــي
لـــم أَزَلْ أمْـــشـــي بِمَـــهْـلـي
وأرى الـــسَّـــوادَ عـلـى الأديْـــ
ـــمِ كـمـا أراهُ بِـجُـنْـحِ لَـيْـل
يـتـفـقَّـدُ الـــنَّـــارَ الـتـي اخْـــ
ـــتَـــبَـــأَتْ ويـقـتـلُ كُـــلَّ ذُلِّ
١٩٩٣/٩/٢٥

****

الحديثُ حديثٌ

لـــمْ يَـعُـدْ لـي فـيـمـا أقـــولُ حـديـثٌ
بـعـدمـا فـاتـنـي المـسـيـرُ الحـثـيـثُ
أُخْـــمِـــدَتْ جـــذوةُ الـكـلام ومـــن بـعْـ
ـــضِ كـلامـــي الجـديـــدِ والمـــوروث
ومـضـى مـا مـضـى وجـــاءَ مِـن الأحْـ
ـــداثِ مـا صـــرتُ بـعـدهـا أستـغـيث
هـــــذه مـــوجـــةٌ تـــدافـــع أمـــوا
جًـــا وهـــذا جـــوى بـقـلـبـي يَـعِـيـث
واصـطـبـاري وكـيـفَ لـي بـاصـطـباري
والـلَّـيـالـي حـديـثُـهـا مَـبْـثـوث
أنـا عـاهـدتُـهـا بـــأنْ أَزرع الـظُّـلْـ
ـمَـةَ نـــورًا والـلَّـيـلُ خَـصْـمٌ خَـبِـيث
وأســـوقُ الـرَّبـيـعَ فـي زمـــنِ الجَـدْ
بِ إذا لـم يُـبَـلِّـلِ الأرضَ غَـيْـث
غـيـرَ أنْ الحـــروفَ جـسـرُ الأمـانـي
والأمـــانـــي مـــردودُهُـــنَّ رَثِـيـث
عـاتـبـيـنـي مـا شِـئْـتِ واسـتـبـقـي البـا
بَ وجِـــدِّي فَـلِـلْـعـيـونِ بُـعـوث

وتَـخـلِّـي عـن وجـهـكِ الـفـاتِـنِ الـرَّيْـ
ــيَــانِ مــا دُمْــــتُ لــلــوعــودِ نَـكُـوث
واحْـشُـريـنـي فـي زمــرةِ الـمُسْتَخْفيـ
ــنَ فَــإنِّــي الـتَّـربـيـعُ والـتَّـثْـلـيـث
ذاكَ أَنِّــي رأيــتُ مـا لَــمْ تَــرَ الـعيْـ
ــنُ وأغـضـيـتُ والحــديــثُ حـديث

✶✶✶✶

قدرُ المواهبِ مرّةً أخرى[1]

مـا زلــتُ مِـثْـلَـكَ ذاهـبًـا أو آيـبَـا
ألـقـى الـزَّمــانَ مـكـافِـحًـا ومُـحـاربـا
فــإذا ضَـمَـمْـتَ إلــيَّ جـرحًـا عـادَنِـي
جــرحٌ يمــهِّــدُ لـلـجـراحِ مـسـارِبـا
أنـا مـا كـرهـتُ الـنَّـارَ تَحْــرِقُ جَبْهَتي
أنــا مـا نـكـرتُ الـقَـيْـضَ يـلـفـحُ لاهِـبـا
خـوَّضـتُ فـي الأشــواكِ أمـشـي حـافيا
وقـطـعـتُ صــحــراءَ الحـيــاةِ مُـغَـالـبـا
وبـنـيـتُ لــلأحــزانِ دارًا شِـدْتُــهـا
بـالـصَّـبـر مَـشْـروبًـا وطَــورًا شَـارِبـا
ورضـيـتُ فـي وطـنـي بمـا قَـدْ نَـالـنـي
إنْ كـنـتُ مـطـلـوبًـا بــه أو طَـالِـبـا
أنــا مـنـهُ حـتَّـى لـو كـتـبـتُ قـصـائـدي
بـدمـي وأذريـــتُ الـدُّمــوعَ سَـواكِـبـا
وتَــخَــدَّرَ الحـقـدُ الـدَّفـينُ بجـانـحـي
وتَجَــمَّــعَ الحــزنُ المـريـرُ سـحـائِـبـا

(١) لما قرأت قصيدة الأستاذ الكبير والشاعر الملهم محمد خليفة التليسي «قدر المواهب» عاد بي هاجس الحديث فكانت هذه القصيدة.

ولـقـيـتُ مـن عَـنَـتِ الـذيـن أُحِـبُّـهُـم
قـــدرًا يـجـرُّ غـرائـبًـا وعـجـائـبـا
أهـــواك يـا وطـنـي غـريـبًـا فـيـكَ أو
شـبـحًـا يُـرى خـلـفَ الـزمـانِ مُـوَاربَـا
أنـا مَـن سَـكَـبْـتُ مـن الأغـانـي عَـذْبـهـا
وشـــدوتُ بـاسـمـكَ واحـتـسـبـتُ الـواهِـبـا
وشَـــرِبْـــتُ مـــاءَكَ سـلـسـبـيـلاً ورْدُهُ
وعـشـقـتُ بـحـركَ فـي الـشَّـواطِـئ غـاضِـبـا
أنـا لـسـتُ مِمَّـن بـدَّل الأسـمـاءَ بـالْـ
أسـمـاءِ مـكـذوبًـا عـلـيَّ وكـاذِبـا
واسـتـنـزفَ الـدّمَ مـن عـروقـكَ جـاريًـا
ولَـهَـى بِـضَـرْعِـكَ رَاضِـعًـا أو حَـالِـبًـا
أنـا مـا خـلـعـتُ الـثَّـوْبَ أو بـدلْـتُـهُ
أبـــدًا ولا غـيَّـرْتُ يـومًـا صـاحِـبـا
فـخـطـوطُ رسـمـكَ لـمْ تـزلْ فـي جبهتي
نـــورًا يـزيـحُ مِـنَ الـظَّـلام غَـيَـاهِـبـا
أسـري ونـــورك فـي حـنـايـا أَضْـلُـعـي
نجـمًـا يُـضـيءُ مـشـارِقًـا ومَـغَـارِبـا
فـي كُـلِّ أرضِ الـلّـه كـنـتَ مـؤانِـسِـي
أنِّـــي ذهـبـتُ أراكَ دومًـــا واثِـبـا
مـا بـالُ مـنْ جعلوا المطامِعَ هَمّهُمْ
يَـبْـرونَ أظـفـارًا لَـهُـم ومَـخَـالِـبـا

باعوكَ بالبخْسِ الرَّخيصِ وغيَّبوا
في أفقِكَ الزَّاهي المنيرَ كواكِبا
كانت سَتُعْشي عيونَهُمْ لو أشرقَتْ
ليلاً وتفضحُ في الظَّلامِ ثَعَالبا
لبسوا مسوحَ الزَّيفِ حتّى خِلْتَهُمْ
زيفًا بدا للعينِ يكسِرُ حاجِبا
مُتَنَمِّرينَ على القريبِ وهُمْ إذا
حَضَرَ الغريبُ كما رأيتَ أرانِبا
لا يدفَعون أذًى إذا غاداهُمُ
أو ينفعونَ أحبةً وأقاربا
حسبُ امرئٍ منهُمُ غنيمةُ يَوْمِهِ
حتَّى إذا أثْرى تَنَحَّى جانِبا
متخلِّيا عَن كُلِّ مكرمةٍ بها
يسمو ويَسْهَرُ بعدَ ذلك حاسِبا
ومن الحسابِ دقائقٌ من عُمرِهِ
تمضي وتفسحُ للهمومِ مَسَارِبا
فاحمدْ هنا زمن النَّوابغِ إنَّهُ
زمِنٌ يطيبُ مطاعمًا ومَشَاربا
يتفيأونَ ظلالَ حسٍّ عارِمٍ
ويلملمونَ من الشُّموسِ ذوائِبا
في كُلِّ عينٍ رفةٌ من حُبِّهِمْ
وبكلِّ قلبٍ يَزْرَعونَ أطايِبا

فَـأجـلُّ مـن صـنـعَ الخـلـودَ عـقـولُـهُـمْ
وأعـــزُّ مَـــن مـسـك الـــزَّمـــان الـذاهـبـا
إن كـنـت تـبـصـرُهـم يـغـيـبُ صـوتـهُـمْ
أو يـشـربـونَ مـــعَ المـيـاهِ شَـوَائِـبـا
فَـلأنَّـــهـــم مـلـــحُ الحـــيـــاةِ وطـيـبُـهـا
لا يـخـلـفـونَ ضـمـيـرهـم والـواجِـبـا
شَـــهـدُوا بمـا عَـلِـمـوا وتـلـك حظوظُهم
مَـــن ذا يـعـنِّـفُ شـــاعـــرًا أو كـاتِـبـا
١٩٩١/٥/٢١

****

عَرِيـــبٌ

سَـــلْ عـن طـريـقِ الـشَّـمـسِ قـافلتـي
وعَـــنِ الـسَّـنـا المـخـضـوبِ قـافِيَتـي
وأســـــألْ عـريـبًـا كـيـف هَـدْهَـدَهـا
شِـعْـري وكـيـف تـوسَّـدَتْ رئَـتِـي
أشْـرَبْـتُـهـا حُـبِّـي فـمـا رَوِيَـــتْ
وَسَـقَـيْـتُـهـا مِـن خَـمْـرِ دالِـيَـتـي
وَفَـطَـمْـتُ عِـشْـقـي بـعـدهـا وَلَـمْ
أهـــوى وأعـــشَـــقُ وهـــي فـاتِـنَـتـي
سِـرْنـا مـعًـا مـن يـوم أنْ طَـلَـعَـتْ
شَـمْـسـي وخـــاطَ الـفَـجْـرُ أَلْـوِيَـتـي
مـا كُـنْـتُ أبْـغِـي بـعـدهـا بـدلا
وَلَـــوْ اشْـتَـكـي رَكْـبـي وراحِـلَـتِـي
قَـــدْ تـأخـذُ الأيـــامُ مـا وَهَـبَـتْ
وتُجِـــدُّ مـن فَـرْضِـي ونَـافِـلَـتـي
لـكـنَّ مـا ضَـمَّـتْـهُ أَجْـنِـحَـتـي
يَـبْـقـى كَـبَـرْدِ المـاءِ فـي شَـفَـتـي
نـاديـتُ حـتَّـى بُـحَّ صَـوْتـي وفـي
أعـقـابِـهِ ضَـيَّـعْـتُ أَسْـئِـلَـتـي

خَـــبَـــأْتُ سِـــــرِّي فـــي مَـــرَافِـئِـــهـــا
والـــبـــحـــرُ لـــم يَـــعْـــبَـــأْ بـــأغْـــنِـيَـتـــي
وســـألـــتُ عـنـهـا الـلـيـلَ حـــين دَجَـــى
والـــلـــيـــلُ يـــعـــرفُ كُـــلَّ مَـلْـحَـمَـتـي
وغَـــــــدَوتُ فـــي طُـرقَـاتِـهـا تَـعِـبًـا
أُمْـســـي وأُصْـــبِـــحُ وهـــي ذاكِـرَتـــي
ونَـــزَلْـــتُ فـــوقَ سِـيـاجِـهـا مـطـرًا
ومِـــنَ الـغُـيـوم غَـــزَلْـــتُ أرْدِيَـــتـــي
أَنـــا مـا عَـصَـيْـتُ لـهـا هـــوًى أبـدًا
أنـــا مـا حَـبَـسْـتُ مـيـاه سـاقِـيَـتـي
أَنـــا مـا سَـمِـعْـتُ حـديـثَ واشِـيَـةٍ
فـيـهـا ولا صَـــدَّقْـــتُ عـاذِلَـتـي
هـــي ظِـــلُّ أشـــجـــاري أفـــيـــئُ لـهـا
وحـــديـــثُ أسْـــمـــاري وسَـــاحِـــرَتـي
وكـــتـــابُ أشْـــعَـــاري وراوِيَـــتـــي
وحـــريـــرُ أقـــلامـــي ومِـــحْـــبَـــرَتـي
سَـمَّـيْـتُـهـا «بـغـدادَ» فـي حُـلُـمـي
ودَعَـوْتُـهـا «لـبـنـانَ» فـي سِـنـتـي
وفَـتَـحْـتُ بـابَ «الـقـيـروانِ» لـهـا
وجَـعَـلْـتُـهـا شُـغْـلِـي وشـاغِـلَـتـي
مـا بـالُـهـا صـــدَّتْ فـمـا رَجَـعَـتْ
والخـــوفُ يَـسْـكُـنُ كُـلَّ أَرْوِقَـتـي
والمـســتـهـينُ بـهـا يُـؤَلـبُـهُ
حِـقْـدٌ فَـيـجـدِلُ حَـبْـلَ مِـشْـنَـقَـتـي

مـــا بـــينَ مَـــنْـــفـــايَ وغُـــرْبَـــتِـــهـــا
عَـــتَّـــقْـــتُ أحـــزانـــي بـــخـــابِـــيَـــتـــي
وطـــويـــتُ أوْجـــاعِـــيْ عـــلـــى مَـــضَـــضٍ
ودَفَـــنْـــتُ فـــي الأحـــشـــاءِ مُـــعْـــضِـــلَـــتـــي
وبـــرَغْـــمِ مـــا أَلَـــقـــاهُ مِـــن أَلَـــمٍ
وبِـــرَغْـــم مـــا أَجْـــنـــيـــهِ مـــن عَـــنَـــتِ
أَبْـــقـــى لـــهـــا وبـــهـــا وأجْـــعَـــلُـــهـــا
نَـــاري إذا ضَـــيَّـــعْـــتُ مِـــدْفَـــأَتـــي
أنـــا لـــمْ أَزَلْ أَقْـــتـــاتُ مِـــن ظَـــمَـــأي
مُـــنْـــذُ اخـــتَـــفَـــتْ فـــي الـــغَـــيْـــبِ ســـاقِـــيَـــتـــي
أتـــبـــرَّضُ الحـــزنَ الـــعـــتـــيـــقَ ومِـــنْ
حُـــزْنـــي رَفَـــعْـــتُ جِـــدارَ مَـــظْـــلَـــمَـــتـــي
رُدُّوا لـــهـــا وَجْـــهًـــا كـــمـــا طَـــلَـــعَـــتْ
شـــمـــسٌ عـــلـــى أَفْـــنـــانِ مـــونِـــقَـــة
وتَـــفَـــقَّـــدوا طـــيـــنًـــا لـــهـــا عَـــطِـــرًا
ورؤًى أُقَـــلِـــبُـــهـــا بـــخـــاطِـــرَتـــي
لـــلـــخُـــلْـــدِ أدْفَـــعُـــهـــا وتَـــدْفَـــعُـــنـــي
وبـــهـــا أُداوي جِـــــرَاحَ أَزْمِـــنَـــتـــي
١٩٨٩/١١/٢٣

****

ثابت يبحث عـــن أخيه عقيل

لا تَـسَـلْـنـي وَسَـــلْ زمـانًـا تـردَّى
كـان جَـــزْرًا وأصـبـحَ الآن مَـدَّا
لا تـسـلـنـي وأنـــتَ أعـــرفُ بـالـمَـا
ضِـــي وأدرى بمـا اسـتـهـلَّ وَجَـــدَّا
حـين كنَّا كـالـدَّهـرِ فـي صَـفْـوِهِ والشَّـمـ
ـــسُ فـــي شَـرْقِـهـا سـنـاءً وبُـعْـدا
حـين جُـبْـنـا الأقـطـارَ نـطـوي مَـداهـا
ورفـعـنـا الـبـنـودَ بـنـدًا فَـبَـنْـدا
مـا لـنـا مِـــن عِـتَـادِهـا غَـيْـرَ إيمـا
نٍ يَـهِـدُّ الجـبـالَ فـي الـكـونِ هَـدَّا
هَـبَـطَـتْ لـلـحـضـيـضِ أيـامُـنـا مـا
كـان مـنـهـا مَـثْـنَـى ومـا كـان فـردا
واسـتـوى الـنُّـورُ والـظَّـلامُ ومـا يَـأْ
تـي ومـا لـمْ يـجـيءُ ومـا لـم يُـؤَدَّا
يـا بـلادي ولـسـتُ أعـــدَمُ مَـن يَسْـ
ـمَـعُ فـيـكِ الـكـلامَ لـلـخـيـرِ يُـسْـدّى
كَـبِـدي إن ضَـمَـمْـتُـهـا فـهـي منِّـي
وجِـراحـي إنْ صُـنْـتُـهـا كـان أجْـدَى

كَـبُـرَ الحـقـدُ أنْ يـكـون لـهـيبًا
والـقـريـبُ الأدنـــى الـعـدوُّ الألَـــدَّا
قَـدْ نَكَثْنا الـوعـودَ والـوعـدُ صـدقٌ
ونَـسِـيـنـا الـــذي مـضـى وتَـعَـدَّى
ومَـحَـوْنـا الـسُّـطـوَر سـطـرًا فَسطرًا
وشَـجـبْـنـا الأنـســابَ حـصـرًا وَعَـدَّا
كـلُّ مـا كـان أرْخَـصَـتْـهُ الـلَّـيـالـي
والـلَّـيـالـي دُيـونُـهـا لـنْ تُـــرَدَّا
كـان عـنـدي حُـبٌّ فـضـاعَ ومـا عَـا
دَ ومـا خُـنْـتُ لـلـمـحـبـينَ عَـهْـدا
أيـــن ظِـــلٌّ أظَـلَّـنـي عـنـدمـا جِـئْـ
ـــتُ أغـاديـه لـلـهـوى أتَـصَـدَّى
وأرانـــي أهـــزوجـــةً فـي فـم الـشِّـعـ
ـرِ وشـعـرًا يُـــرْوى ولحـنًـا يُـــؤَدَّى
وصـبـابـاتُ أمَّـــةٍ جـعـلـتْ لـلـعِـشْـ
ـــقِ بـيـتًـا بـهـا ولـلـضَّـمِ زنْـــدا
صَـيَّـروا شَـوْقَـنـا دمـوعًـا ولـن نَـغْـ
ـفِـرَ ذنـبًـا بـشَـوْقِـنـا الـبِـكْـر أَوْدَى
قَـدْ حَـمَـلْـنـا الأحـــزانَ وهـــي ثِـقـالٌ
واحْـتَـمَـلْـنـا مـع الـزَّمـانِ الأشـــدَّا
ذاكَ أنَّ الـــذي وراءَ خـوافـيـ
ـنـا كـبـيـرٌ فـلـنْ يمـــوتَ ويَـهْـدَا
شُـعْـلَـةٌ لـلـحـيـاةِ أوْقَـدَهـــا الـلـ
ـــهُ ونـــورُ الحـيـــاةِ لـلـقـلـبِ أهْـدى

مَـنْ تُـرى يستطيعُ أنْ يطفئ البسْـ
ـمَـةَ فـي ثـغـرِ طـفـلـةٍ وهــي تَـنْـدى
ويُمِـيـتُ الإحـسـاسَ فـي قـلـبِ أمٍّ
فَـرَشَـتْ أرضَـهُ حـنـانًـا وَوُدًّا
إنَّ رَكْـبًـا سُـقـنـاهُ لابـدَّ أنْ يمـ
ـشي وإنْ جـاوز الـضَّـنـى مِـنْـهُ حَـدَّا
تـتـلاقـى الـوجـوهُ دونَ مـواعـيـ
ـدٍ كـمـا تَـغْـمُـرُ الـنَّـسـائِـمُ وَرْدا
وتـعـودُ الأيـامُ أكـثـرَ إشْـرَا
قًـا وأصـفـى مـاءً وأعـذبَ وِرْدا
مَـن تـرى كالشُّـعوبِ تغضي على الذُّلْـ
ـلِ وفـي صـمـتـهـا الـدُّنـى تَـتَـحَـدَّى
إنْ صَـحَـتْ تـوقِـفُ الـدقـائـقَ كـي تَـمْـ
ـحَـقَ مَـنْ دَنَّـس الـحِـمـى واسـتَـبَـدَّا
وتَـرُدَّ الـثَّـاراتِ مـهـمـا تـنـاسَـتْ
وتَـهُـزَّ الأحـداثَ جـذبًـا وَشَـدَّا
نـحـنُ مَـنْ أيْـقَـظَ الـحـقـولَ إذا نـا
مَـتْ وأهـدى لـهـا الـصَّـبـاح الـمُـنَـدَّى
وبـنـى المـجـدَ فـي صـمـودٍ وكـم خَـلْـ
ـلَـدَ فـي ذروة الـشَّـوامِـخِ مَـجْـدَا
ورعـى الـعـاشـقـيـنَ فـي هَـدْأَةِ اللَّيـ
ـلِ فـلـم يـعـرفـوا فـراقًـا وَصَـدَّا
فـاسـألـوا نجـدَ إنَّـهـا مـوطـنُ الـعِشْـ
ـقِ وريـحُ الـعَـرارِ يَـغْـمُـرُ نَجْـدا

هـلْ تُـراهـا سَـلَـتْ وهــلْ جـبـلُ الـثَّـوْ
رِ بــادَ مـا عــادَ لـلـمـحـبـيـنَ مَـهْـدا
ســوفُ يُـنْـبـيـكُـمُ الــزَّمــانُ بــأنَّ الْـ
ـخـلـدَ مـا زالَ فـي المــرابــعِ خـلْـدا
ورحــيــقُ الحــيــاة يـشــربــهُ الأنْــ
ـقَـى الــذي كـابـدَ الحــيــاةَ وَجَــدَّا

****

ويبقى الشـــعر[1]

نَمَّ عـــن أحْـــزانـــهِ الـشَّـفـقُ
وروى أشـــعـــارَه الأَلَـــقُ
عـــابـــدٌ جَـــاثٍ بمـعـبـدِهِ
عـاشـقٌ مِـن بـعـضِ مَـن عـشـقُـوا
خـــاضَ بـحـرَ الـشِّـعـر لا وَجِـلاً
وهـــو لا يـنـجـو بـــه الـــغَـــرِق
يـــا نَـــجِـــيَّ الـــدَّهـــرِ يـا شـفـةً
بـالـهـوى المـشْـبُـوب تَحْـتـرق
صُـــبَّ لـي يـا مُـدنِـفـي قَـدَحًـا
فَـــيَـــدِي لـلـكـأسِ تَـسْـتَـبِـق
وبِـقُـربـي الـسَّـامـرونَ ومَـن
شـقَّـهُـم حـــبٌّ بـــه نـطـقُـوا
يـتـسـاقُـونَ الـصَّـبـابـةَ فـي
لَـيْـلِـهـمْ والـلَّـيـلُ يـغْـتَـبِـق
ذاكَ يَـشْـتَـفُّ الـــرُّؤى حُـلُـمًـا
يَـنْـتَـشـي مِـن سـحـرِهِ الـــوَرَق
ومُـعـنًّـى بـــاتَ فـــي حُـــرقٍ
تـكـتـوي مـــن نـــارِهـــا الحُـــرُق

(١) قرأها الشاعر في الأمسية الشعرية التي انعقدت بتوزر يوم ١٩٩٤/١٠/٨م بمناسبة ستينية الشابي.

كُـلُّـهُـمْ هـامـوا وتَـيَّـمَـهَـمْ
عـالِـمٌ بـالـشِّـعـرِ يـنـطـلـق
لـيـس يُـحْـصِـي نَـجْـمَـهُ عـددٌ
لا ولا يـدْري بـه الأفُـق
حـدِّثِ الـنَّـخـلَ الـتـي دَأَبـتْ
تحـضُـنُ الـصَّـحـرَا وتَـعْـتَـبِـق
شـاخـصِـاتٍ وهـي تـرقُـبُـهُـمْ
خـاضِـبـاتٍ زانَـهـا الـشَّـفَـق
عـابـداتٍ وهـي مـاثـلـةٌ
داعـيـاتٍ اَدَهـا الأَرَق
أتُـراهـا فـي تَـبَـتُّـلـهـا
عـرفَـتْ مِـن حـسِّـهِـمْ مِـزَق
يـا شَـذَا الـواحـاتِ يـا سِـفْـرًا
فـي زمـانٍ مـا بـه مَـلَـق
طـالمـا نـغَّـمـتَ أحـرُفَـنـا
وسـقـى أرواحَـنـا الـغَـدَق
حـيـنـمـا قـالَ الـرَّبـيـعُ لـنـا
هـا هُـنـا الأزهـارُ تُـنْـتَـشَـق
هـا هُـنـا الألحـانُ رتَّـلَـهـا
مُـنْـشِـدٌ مـا إنْ بـه نَـزَق
كُـلَّـمـا ذاعـتْ حـكـايـتُـهُ
ردَّدتْ أصـداءَهـا الـطُّـرُق
لـيـس يَـدْري الـشَّـوقَ غـيـرُ ذوي
الـشَّـوقِ إنْ فـي حـسِّـهِـمْ صَـدَقُـوا

إنَّ وِرْدَ الحُبِّ يعرفُهُ
عاشقٌ ما إنْ به رَمَق
بعضُهُ الألحاظُ ساهيةٌ
والقُدودُ اللُّدنُ تُمتشَق
حارَ «قيسٌ» في متاهتِهِ
و«جميلٌ» نابَه الرَّهَق
نحن أتْقَنَّا صناعتَهُ
ولنا في دَرْبِه السَّبَق
وهو إمّا غابَ لا مطرٌ
تُخْصِبُ المرعى ولا عَبَق
وإذا خاطَ الجفونَ فَمِنْ
سِحْرِهِ ما ضمَّتِ الحدَق
سوف يَبْقى الشِّعرُ ما بقي الْـ
ـحُبُّ في الأحشاءِ يَصْطَفِق
جذْوَةٌ لا تَنْطفي أبدًا
وجراحًا دُونَها العُنُق
نتحدَّاهُ فيهزِمُنا
ونُوارِيه فَيَنْبَثِق

✱✱✱✱

شعراءٌ من ورق، وشعرٌ من غبار

يـــومٌ كـســابـقِـهِ يَمُـــرُّ ... فـــي طَـيِّـــهِ مَـــدٌّ وجَـــزْرُ
تمشي خطاكَ ولستَ تدري ... الـبـحـرُ حـين يمـــوجُ بـحـرُ
وتـفـيـقُ مِـن سِـنَـةِ الـكرى ... ووجـيـبُ قـلـبِـكَ لا يَـقَـرُّ
يمضـي الـزَّمـانُ فـلا هـوًى ... يـنْـدي ولا عَـيْـشٌ يَـسُـرُّ
حـظُّ الأديـــبِ بـــهِ كَـوَجْـــ ... ـهِ الـلَّـيلِ حيـنَ يغيبُ بَـدْرُ
أتُـــراكَ تـعـرفُ مِـثْـلَـنـا الـ ... ـكَـلِـمَ الأَسـيـرَ بمـا يَـجُـرُّ
لـيـمـوتَ فـي صـمـتِ الـكهـو ... فِ وليس مِثْلُ الكَهْفِ قَبْرُ
تَـعِـبَـتْ أغـانـيـنـا وأُسْـــ ... ـبِلَ دونَها في الصَّمتِ سِتْرُ
نَـتَـبَـرَضُ الحـــرفَ الـرَّدى ... والحـــرفُ أحـــلاهُ الأمـــرُّ
ونـدوسُ شَـوْكَ الشِّعر والـ ... ـعـمـرُ الـقـصـيـرُ بـنـا يـفـرُّ
أشـقـى الـبـريّـة شـاعـرٌ ... يُـضْـنـيـهِ فـي الأيـــامِ شِـعْـرُ
إنْ قـلـتَ صَـخْـرٌ فـهـو فـي ... شفةِ الـرِّيـاح الـهُـوجِ صَـخْـرُ
أو قـلـتَ كـونٌ فـهـو كـونٌ ... لا يَـحُـدُّ مَـــداهُ قَـــدْرُ
أو قـلـتَ منتجعُ الـهـمـومِ ... فـلـيس فـيـمـا قـلـتَ سِـرُّ
عَـجَـبـي لمـن جـعـلـوا من ... الأشـعـارِ ضَـرْعًـا لا يَـدُرُّ

حاموا ولمْ يقعوا ومرَّوا ... بالقلاعِ ولم يمرُّوا
لم يدخلوا المحرابَ من ... أمَمٍ ولا بالشِّعرِ بَرُّوا
والشِّعرُ نارٌ تحرقُ الزْ ... ـزَمنَ المُعاندَ وهو جَمْرُ
لا الماءُ يُطْفِئُهُ ولا ... نهرٌ يسوقُ خطاهُ نَهْرُ
ومَعاشِرُ الشُّعراءِ منـ ... ـهُمُ في الفَضا صَقْرٌ ونِسْرُ
وبغاثُ طيرٍ لا يقو ... مُ إذا نَهَضْتَ ولا يفرُّ
يتناوشونَ إذا حكَى ... عَن شِعْرِهِمْ زيدٌ وعمرو
ويُصَنِّفونَ نفوسهم ... قسٌ يُحَدِّثُ عنهُ حِبْر
يترسَّمونَ خُطى الحدا ... ثةِ وهيَ في الأوراقِ حِبْر
ما ذكرياتُ الملحِ ما الْـ ... أَهدابُ أجنحةٌ تَمُرُّ
ما الوجهُ نقطةُ مركزِ الـ ... ـكَونِ الذي لا يَسْتَقِرُّ
إنْ كان هذا شِعْرُهُمْ ... فإليكَ يا رَبِّ المفرُّ
عُدْ بي إلى الحبِّ الذي ... ما ضمَّهُ في اللّيلِ صَدْرُ
مُذْ غابَ ما غَنَّتْ طيـ ... ـورٌ أو تفتَّح بَعْدُ زَهْرُ
قرٌّ عواطفُنا وكُلْـ ... ـلُ الكونِ بَعْدَ الحُبِّ قِرُّ
الحقدُ يزرعُ حقلَهُ ... وقطافُهُ عِنَبٌ وتَمْرُ
وجُنَاتُهُ ألفٌ وألْـ ... ـفٌ همُّهم طيٌّ ونَشْرُ
لا الدَّهرُ أسْعَفَهُمْ بما ... شاؤوا ولا الحَسَدُ المُضِرُّ
أحكي لكمْ عنهُمْ وعَنْ ... فئةٍ لهم خُبْثٌ ومَكْرُ
عبدوا الغريبَ وللغريـ ... ـبِ بأرضِنا سجدوا وخَرُّوا

يَـــلْـــوَوْنَ ألْـــسِـــنَـــةً لـهـا ... فـــي لـيِّـهـا بَـطْـنٌ وظَـهْـرُ
تُـــغْـــوِيـــهِـــمُ لـــغـــةٌ بـهـا ... سُـحِـروا ولـلألـفـاظِ سِـحْـرُ
مَـسَـحـوا بـريـقَ الـــذَّاتِ في ... أرواحِـــهِـــمْ والـــذلُّ قَـهْـرُ
ونَـــسَـــوْا بـــلادًا مـاؤُهـا ... عِـلَـلٌ ولـلأفـيـاءِ عِـطْـرُ
أعـطَـتْـهُـمُ أزكـــى الـعَـطـا ... يـا يـــومَ لا أحَـــدٌ يَـبَـرُّ
وكَـسَـتْـهُـمُ حُـلَـلَ الـكـرا ... مـةِ وهـــي لـــلأحـرارِ فَـخْـرُ
يـا مـوطـنًـا غَـدِيَـتْ بـه الـ ... أيـــامُ والـعـيـشُ الـــمُـسِـرُّ
حَـــجـــرًا أقـــبِّـــلُـــهُ وحـيـ ... ـنَ أطـوفُ بـالأركـانِ حِـجْـر
أفـــديـــكَ يـــا قَـــــدَري بـرو ... حِـــي والـــهـــوى قَـــدَرٌ وأمْـــرُ

✶✶✶✶

الغريبـــان[1]

لـكُـمَـا وإنْ طـالَـتْ لـيـالـيـهـا
لَـكُـمـا وإنْ جَـفَّـتْ سَـواقـيـهـا
لـكُـمَـا وإنْ رَعَـــدَتْ رواعِـدُهـا
ورســا بـقـلـبِ الـرَّيـحِ شـاديـهـا
أُمْـلِـي وأكـتُـبُ مـا أنـوءُ بـهِ
فَـلَـربَّمـا سَـحَّـتْ غـواديـهـا
صـقـرانِ قـد حَـطَّـا عـلـى شجرٍ
إنَّ الـصُّـقـورَ تـرودُ مُـدْمِـيـهـا
اِسْـأَلْ نـخـيـلَ الـضّـفَـتَـيْـنِ وقَـدْ
شَـمَـخَـتْ بمـا حَـمَـلَـتْ أعـالـيـهـا
كـم شَـاهـدَتْ يـومًـا مـواكـبـهُـمْ
تـردى وتَـسْـقُـطُ فـي تـردِّيـهـا
تمـشـي إلـى الـنِّـسـيـانِ زاحـفـةً
فَـيُـفَـتِّـتُ الـنِّـسـيـانُ مَـنْ فـيـهـا
ذهـبـوا ولـكـن الـذيـن بـقـوا
مـن أسـهـروا بـالـشِّـعـر نـاديـهـا

(١) إلى الشاعرين الكبيرين محمد مهدي الجواهري وعبدالوهاب البياتي في غربتيهما.

لا استراحتْ ركابكَ لا عُدْتَ يومًا لدارتك الجاثمهْ
قلتَ لي إنّها طاردت نومها
فرآها الذي حارَ فيها فظنَّ حبيبتهُ نائمهْ
مثخنٌ بالجراحِ الحمام وكلُّ أصائله غائمهْ
وبرغم الذي يتلقاه ما زال عرنينهُ شامخًا
وأناشيدُهُ هائمهْ
غُـربـاءُ يُـوصَـدُ دونَـنـا الـبـابُ
ويـفـرُّ أصـحـابٌ وأحـبـابُ
أتُـرى لأنَّ الـشِّـعـرَ صاحبُنا
أمْ أَنَّ صَـرْفَ الـدَّهـرِ غـلَّاب؟
نـطـوي عـلـى الأحـشـاءِ حُـرقـتَـنـا
ونَـبِـرُّ مَـن حـضـروا ومَـن غـابـوا
ونـسـوقُ لـلـغـابـاتِ مَـوْسِـمَـهـا
وإذا الجـنَـى تـيـنٌ وأعـنـاب
فـإذا الجـزاءُ جـزاءُ مـن نكثوا الْـ
ـمـيـثـاقَ واجْـتَـرمُـوا ومـا تَـابـوا
دَعْـهـا عـلـى مـهـلٍ فـقـد تَـعِـبَـتْ
وأَقَـضَّـهـا سـجـنٌ وإرهـاب
يَـتَـرصَّـدُ الـعـادي فـريسـتَـهـا
وتـنـوشُـهـا فـي الـلَّـيـل أنـيـاب
والـسَّـادِرونَ كـمـا عَـرَفْـتَ فـمـا
فُـتِـحَـتْ لـهـم فـي الـنَّـوم أهـداب

إنَّ من ذاقَ طعم الحرائقِ يصبحُ بالنارِ أعرفْ
ومَنْ حَمَلَ الحرفَ جَمْرا
سيبقى على وتر الجَمْر يعزفْ
أيّما غربةٌ أو ذراعٌ تمدُّ لتفتحَ بابَ الخروجْ
سوف تبقى بروجًا تَخِرُّ لديها البروجْ

بحروفِنا قَدْ سَجَّلَ الزَّمنُ
أحداثَهُ ومَشَتْ بنا المِحَنُ
نتعقَّبُ الأيّامَ نَسْكُنُها
شِعرًا وتمخرُ بحرَنا السُّفن
كم شفَّ نجمٌ في قراراتِنا
وامتدَّ في أعماقِنا الشَّجن
وأَمَضَّنا الحبُّ الكبيرُ ومِن
نعماهُ في أفيائِنا وطن
سُبُلُ الحياةِ بنا تَفَرَّعُ لا
سِرُّ نُواريه ولا عَلَن
كمْ يكتمُ الملتاحُ صَبْوَتَهُ
ويُصيبُهُ الإرهاقُ والوَهَن
لكنه يبقى كما سَطَعَتْ
شمسُ الضُّحى للنُّورِ تَخْتَزِن
لِتَشعَّ في الأفاقِ أجمعِها
في كلِّ أرجاءٍ لها سَكَن
١٩٩٥/٤/٢٦

✱✱✱✱

نفحات نبوية

أتيتُكَ حبًّا والشُّجونُ ضروبُ
وقد كدتُ من شوقي إليكَ أذوبُ
سَنًا بارقٌ من نور أحمدَ لائحٌ
به ضاءَ شرقٌ واسْتنارَ جنوب
تَوَزَّعَنِي شوقي له بين جيئةٍ
وبينَ رجوعٍ يقتفيه ذهوب
تناهبَنِي حُبَّانِ فيه وليتني
قضيتُ حقوقًا والزمانُ خصيب
فَحبٌّ بَراني للحبيب وأهلِهِ
وحبٌّ لوجهِ الله وهْوَ عجيب
تقاسَمتِ الأيامُ قلبي فبعضُهُ
أسيرٌ وبعضٌ في الحنايا غريب
تحدَّرَ دمعي من حنوٍّ وغبطةٍ
وكيف يُكَفُّ الدمعُ وهْوَ صبيب
جرَى ذكرُ من أهوى فأسلمتُ مهجتي
وأيقنتُ أني راجعٌ ومُنيب
ولي في روابي (طيبةٍ) مَن يُجيرُني
ويجلو كروبًا ما إليها كروب
طبيبٌ دَوَا قلبي وغوثِي وعدَّتِي
وما دونَهُ في النَّائباتِ طبيب

مَـلاذي رجـائـي شـافـعـي يـومَ وحشَـتِـي
إلـى الـلـهِ مـا وافَـى الحـبـيـبَ حبيب
أَنيسـي ضَمـيـنـي يـوم أُحْـشَـرُ هـالـعًا
وللـنـاس مـن هـولِ الحـسـاب شُـحـوب
أتـيـتُ وجِـسِّـي قـد تـدلَّـهَ بِـاسْـمـهِ
وجِـبْـتُ سُـهـوبًـا مـا إلـيـهـا سـهـوب
لألـقَـى حـبـيـبَ الـلـه لـهـفًـا مشـفـقًـا
وللـقـلـب مـن خَـلْـفِ الـضـلـوع وَجِـيـب
شَـذَا لا تمـلُّ الـرُّوحُ مـنـه إذا هـفـتْ
وذكـرٌ عـلـى مَـرِّ الـزمـانِ رطـيـب
وآفـاقُ وحـيٍ لا تُحَـدُّ ومـنـزلٍ
بـه المـرجُ خـصـبٌ والمـقـامُ رحـيـب
حـمـلـتُ هـمـومـي وهْـيَ جِـدُّ ثقيلةٌ
وألـقـيـتُ رَحْـلـي والـفـؤادُ سليب
ولَـمـلَـمْـتُ عند القبر بعضي وجئتُهُ
ومـا لـيَ مـن هـذا وذاكَ هـروب
وأغـفـيـتُ أسْـتَـجـدي الـقَـبُـولَ وليس لي
سـوى ذاك مـا أرجـوه وهـو قـريـب
أمـامَ الـذي لا بـابُـهُ الـدَّهـرَ مـغـلـقٌ
وطـالـبُ جـدوى مـن لَـديـهِ يـخـيـب
أيَـا سـيـدي يـا مَـن نـهـجـتَ إلـى الـورَى
طـريـقًـا بـه لـلـخَـيِّـرِيـنَ دروب
سـرائـرُ مـاضـمَّـتْ سـوى الطـهـرِ والتُّقَى
وقـولٌ كـمـا صـاغَ المـقـالَ لبيب

وهَــدْيٌ سمَا نحو السماءِ فأشرقتْ
وشمسٌ بــدَتْ لا يعتريها غروب
طويتَ زمانًا في الجهالةِ غارقًا
وجئتَ بشيءٍ ما إليه ضريب
شواهدُ أعطتْ للحياةِ مذاقَها
وآيــاتُ حــقٍّ بالفلاح تهيب
ايَا سيدًا صاغ النفوسَ جواهرًا
وحنَّتْ لمغناهُ الرَّحيبِ قلوب
زكتْ به أخلاقٌ وطابتْ معاشرٌ
وصَــدَّقَ بالوحي المبينِ مُريب
وضاءت قرى بصرى البعيدةُ واستوى
على نهجهِ عُجْمٌ بها وعَريب
وآمَــنَ من روعِ الملمَّات خائفٌ
وأطفئ في حرِّ الأتونِ لهيب
أيَا هاديًا أمَّ الهُداةَ وقاضيًا
له الفصلُ كلُّ الفصلِ وهو يجيب
أتيتُكَ أسْتجدي الوِدَادَ وأنت لي
إلى الله إن عزَّ السؤالُ نقيب
ومن يبتغي عند الإله وسيلةً
فأنتَ لها إنْ رامَ ذاكَ مُجيب
فكُنْ لي وأهلي عند ربِّيَ شافعًا
إذا بُحَّ بالقولِ الفصيحِ خطيب

****

مِنَ الينبـوع[1]

ظَـمِـئَـتْ بَـعْـدكَ الـشِّـفـاهُ الحِـرارُ
وبـكَـى لـيـلَـكَ الـطـويـلَ الـنَّـهـارُ
عـابـدًا كـنـتَ فـي مـحـاريـبِ هـذا الشْـ
ـشِـعـرِ تُـتْـلَـى بـبـابِـكَ الأذكـار
ولُـهـاثًـا مُـنـغـمًـا كَـلـهـاثِ الطيـ
ـرِ هـزَّتْ شـجـونَـهـا الأوكـار
فـإذا مـا صَـمَـتَّ كـنـتَ مـهـيبًـا
وإذا مـا نَـطـقْـتَ غـنَّـى الـكـنَـار
أبـدًا فـي الـوجـوهِ دعـوَى ابتسامَـا
تٍ وفـي الـعـمـقِ روضـةٌ مِـعْـطَـار
أتـرى مَـن سـواكَ يـعـزفُ حـزنَ الليـ
ـلِ والـلـيـلُ غـربـةٌ وسِـفَـار
ومَـن الـعـاشـقُ المـدلّـهِ بـالـشـعْـ
ـرِ اذا طـال فـي الـدّجَـى الانـتِـظَـار
رَهَـبَ الـكـلُّ لا الـمُـعـنَّـى ولا نَجْـ
ـدٌ فـأيـنَ الـشَّـذا وأيـن الـعَـرارُ
فـي جـراحـي وفـي جـراحـكَ تَـرتَـا
حُ المـراثِـي وتـورقُ الأشـعـار

(١) قيلت في رثاء الشاعر أحمد المختار الوزير.

شَـفَّ قـلـبٌ حَـمـلـتَـهُ عـن هـوى الـمُـدْ
نـــفِ ألـــقـــى بـقـلـبـهِ الإعْـــصَـــار
واحـــةٌ تَـبْـسـطُ الـظِّـلالَ بـصـحـرا
ءَ وغَـــضٌّ عـلـيـه غَـنَّـى الـهَـزَار
مـوجـعُ الـلـحـنِ تَـعـتَـريـهِ شَـكـاةٌ
جُـرحـهـا فـي فـم الـزَّمـان جُـبَـار
مُـدَّ لـي أحـرفَ الـضِّـيـاءِ يُـغَـنِّـي الـ
ـحـبُّ فـيـهـا وتـعـزِفُ الأوتـار
وأَعِـدْ نـغـمـةً مُـدلَّـهـةً بـالـصْـ
ـصِـدْقِ تـهـمـي لـهـا الـدُّمـوعُ الـغِـزار
وحـروفًـا مُـذَهَّـبـاتٍ كـمـا يـلْـ
ـمَـعُ فـي مِـعْـصَـم الـغَـوانـي الـسِّـوار
نَـبِّـنِـيْ عـنـكَ والحـديـثُ طـويـلٌ
والـلـيـالـي الـمُـنـعَّـمـاتُ قِـصَـار
كـيـف أصـبـحـتَ فـي الجـنـانِ طـلـيقًـا
فـي يـديـكَ الـنـجـومُ والأقـمـار
أَلَـقٌ مِـن سَـنَـا الإلـه ونـورٌ
ومـكـانٌ يـطـيـبُ فـيـه الـقَـرار
يـا مُـجِـيـبَ الـرَّدى إلـى دارِ أَخْـلا
دٍ تَـسـاقَـى كـؤوسَـهـا الأبـرارُ
عـرفَ المـوتُ كـيـف يـخـتـارُ والمـو
تُ كـبـيـرُ الـنِّـقَـادِ يـا مُـخْـتَـار
بَـعْـدَكَ الـشِّـعـرُ صـارَ دعـوةَ إفْـلا
سٍ وجـمـعًـا بـه تـدارُ الـعُـقَـار

وتـــبـــدَّتْ ألـــوانُـــهُ مـثـلـمـا يَـعْـ
ـــرِضُ فـــي الـسُّـــوق ثَـــوْبَـــهُ الـقَـمّـار
مِـــن طـويـلٍ ومـــن قـصـيـرٍ ومـــن أحْـ
ـــمـــرَ قـــانٍ لـبـاسُـــهُ الأطْـــمَـــار
وتـولّـى الإبـــداع يـشـجـبُـهُ الـصَّـمْـ
ـــتُ ويَـــلْـــوي جـنـاحَـه الـتَّـيَّـار
ســامَـهُ الخـسْـفَ كـلُّ غـمْـرٍ فـمـا يَـدْ
ري أَثَـــلْـــجٌ شـــرابُـــهُ أم نـار
وهْـــوَ فـــي غـيـمـةِ الخَـريـفِ سُـــؤالٌ
عـــجـــزَتْ عـــن جـــوابـــهِ الأمـطـار
جـرحُـهُ فـي الـقـلـوبِ مـثْـلَ الأخـاديـ
ـــدِ ومـــن جـرحِـه الـضـحـايَـا كِـثَـار
صـاحـبٌ يمـنـحُ المـــرَارتِ والحُـــزْ
نَ وتـشـقَـى بِـهـمِّـهِ الأعْـمَـار
قَـــدْ رضـيـنـا بمـا يَـجـودُ علـينـا
فـلَـــهُ حُـكْـمُـه بمـا يَـخـتـار
حَسْبُنَا الشِّعرُ فـهْوَ قـوتُ الـمُحبْيـ
ـــنَ ومـــن بَـعـدهِ تجـفُّ الجِـــرَار

****

حديث عن الحاضرة الغائبة

لها أن تُجرِّعني الشعر يأكل عمري
وأحملُهُ صخرةً فوق صدري
ولي أن أموتَ على أرضها
كلما عانقتْ لهبَا
أو جَنَتْ غَضَبا
أو دَعَتْ عرَبا
فتولّوا ولم يستجيبوا لها
فاستجارتْ بزيدٍ وعمروٍ
لها وعَليَّ
ولكنني بالحديدِ تشدُّ يديَّا
وبالنار ألجَمُ كل صباحٍ وكلَّ عشيَّهْ
وماذا عسى أن يقولَ لك الأبكَمُ
سوى أن يمدَّ يدًا أو يهزَّ يدَا
ومن دونِ هذا وذلك ما يكْتُمْ
جَـنِّـبـوهـا مـوائـدَ الـغُـربـاءِ
وأسـأَلُـوهـا بـأن تجـيـبَ نـدائِـي
فَـهْـيَ بـنـتُ المـلاحـم الـسُّـودِ مـا زا
لَـتْ وبـنـتُ الـوقـائـعِ الحَـمْـراءِ

كَـــمْ بـهـا قـد تَـربَّـصُـوا فَـتـولَّـتْ
و هْـــيَ أنـقَـى مـن صـفـحـةٍ بـيـضـاء
وهـــي أبـقَـى فـي الـقـلـب مـن كـلِّ بـاغٍ
رَغْـــمَ كـــلِّ الحُـــسَّـــادِ والأعْـــدَاء
دَيْـنَـهـا أن نَـــردَّ مـا وهـبـتْ بـالْـ
أمـــسِ والـــدَّيـــنُ مُـــؤْذِنُ بـالـقَـضَـاء
الـــدمـــاءَ الـــدمـــاءَ إنْ كـــان لابـدْ
دَ إذا مـا دَعَـــتْ لِـعُـرسِ الـدِّمَـاء
فـــهْـــيَ أمِّـــي وأمـــكُـــم ومـــن الـــوا
جِـــبِ فـــي الـــدِّيـــنِ طـاعـةُ الآبـــاء
وطنٌ أمْ بقايا حديثٍ يوزعُهُ المخبرون صباحَ مساءْ
وتظلُّ الجرائدُ تنبشُ كلَّ
جميلٍ به وتعكَرُ فيه الصَّفاءْ
ليس إلا هُمو بَدَّلوا وجْهَهُ
ثم نادوا به في مزادِهمُ للشراءْ
وجاء البعيدُ البعيدُ على صهواتِ الحديدْ
ليذبحَهُ ويجزَّ الوريدْ
وما ماتَ إلا لكي يستعيدَ الحياةَ
ويُبْعثَ في كونِنَا من جديدْ
أبَـــدِيٌّ وســـوفَ يـبـقَـى كـمـا كا
نَ جـــلاءً لـلأعْـيـــنِ الـعَـمـيـاءِ
عَـــرَبـــيٌّ وكـيـف لا وهـــوَ مـا زا
لَ يُـغـالـي بـالـعـزّةِ الـعَـرْبَـاء

نـحـنُ لـمّـا نـزلْ بـه رغـمَ مـا ينفثُهُ
الـــمُـحْـبِـطُـونَ فـــي الأنْـــحَـــاء
نـحتسـي المـوتَ فـي الـصبـاحِ إذا جا
ءَ ونـحـيـا مـن بـعـدهِ فـي المـسـاء
ســوفَ نـبـقـى رغـمَ الـتّـمـزُّقِ نمشي
وأخـــيـــرًا لابـــدَّ مِـــن صَـنْـعـاء
فـــإذا مـا رمَـــى الحـــجـــارةَ أطـفَـا
لُ لـنـا فـــي صَـــرامـــةٍ وإبَـــاء
نـزلـتْ مـحـنـةُ الـزمـان إلـى الأسْـ
ـفَـلِ وانْجَـــابَ مـوكـبُ الـظَّـلْـمَـاء
تناوبني حينَ حَدَّثْتُها صخبُ الريح
وهي تفتتُ صخرَ المحيطاتِ تبني من الحزنِ دارا
ومن حجر الخوفِ دارا
تزأرُ تَعْوي تئنُّ
فناديتُ يا سعدُ هَا وافدُ الضيفِ جاء فأوقدْ
وقد كان سَعْدٌ عليمٌ بأخبارِها
وأدْرَى الجميعُ بأسرارها
ثمارُ المواسم ما زال يقطفُه ثمرةً ثمره
ونخلُ الصحارى تسلَّقُه شجرةً شجره
«أوقدْ فإن الليلَ ليلٌ قَرْ»
والبيتَ لا ماءٌ به أو تَمرْ
والقبرُ ما عادَ إليه صَبْر»
يـبـتـدي ثـــمَّ يـنـتـهـي وسـيـأتـي
بـــعـــدَهُ آخـــرٌ بـــدونِ انْـتِـهـاءِ

شِـمـتـهُ فـي صـبـاحِ بـغـدادَ والـقُـدْ
سِ وفـــي الـــشـــامِ مـــوطـنِ الآبـــاءِ
وبـصـنـعـاءَ وهْـــيَ دارةُ مـجـدٍ
وبـــأفـــيـــاءِ تـــونـــسَ الخَـــضْـــراء
كلّـمـا ارتـــدَّ فـي الجـــداولِ شـوقُ الْـ
ـــمـــاءِ أيـقـنـتُ بـــعـــدَهُ شِـفـائـي
وتـنـسـمـتُ فـــجـــرَهُ والمـــواعِـــيْـــ
ـــدَ ومـــا ضـــمَّ صـــدرُهُ مـــن وفَـــاء
وتـــيـــقَـــنْـــتُ أنَّـــــهُ كـلـمـا طـا
لَ زمـــانٌ وامْـتـدَّ صَـــرْفُ الـقـضـاء
سـوف يـأتـي مِـــنْ بـعـد ذاكَ زمـــانٌ
عـــربـــيٌّ يـسـمـو إلـــى الـعـلـيـاء
١٩٩٠/١٢/٢٠

****

أغنية من خلف جدار الصمت

لستُ الذي ينساكِ إنْ مرَّ عامْ
أو جدَّ في ليلِ المحبينَ عامْ
هانتْ - أيَا مَن أنتِ - أعمارُنَا
والعمرُ يومٌ ثمَّ مسكُ الختام
نمشي ولا نمشي ومن أينَ للسْـ
ـسَائرِ أن يبلُغَ أقصَى المرام
سألتُهَا عن صُحْبَةٍ بددُوا
عمرَ الأغاني وأراقوا المدام
وعن هوًى ماتَ ونهرٍ تَرَكْ
ـناهُ يسقي العابرينَ الْكلام
وخضرةٍ حانيةٍ لم تزلْ
تُغري وتُغرينا بِنَيْلِ الأوام
لا نارُنا أطفأَهَا شوقُنا
فينا ولا انْجَابتْ جيوشُ الظلام
حَتَّامَ نسقي الحرفَ أيامُنا
والحرفُ يسقينا كؤوسَ السَّقام
عودي لنا كالزهر في طلعةِ الـ
ـفجرِ وكالفرحةِ في الابتسام

وكـالـنَّـدى فـي آخـرِ الـلَّـيـلِ أعْـ
ـشـب مـنـهُ الحـقـل حـتّـى الجـمـام[1]
مـــوردنـــا لـــم يـــزلْ واحـــدًا
وحـبُّـنـا يـرويـه عـنّـا الحـمـام
نَمـا بـنـا الـبـعـدُ وطـالـت بـنـا الْـ
أيـــامُ والأيـــامُ غـيـمٌ جـهـام
وأنـــتِ كـالـفِـكـرةِ فـي خـاطـري
صـــوتٌ بـعـيـدٌ ومُـنًـى لا تُـرام
مـن بَـعـدِ مـا جـفَّـت مـيـاهُ اليَـنَـا
بـيـعِ وضـاعَ الـصـوتُ وسْـطَ الـزحـام
شِـدِّي لجـامَ الـدهـرِ إنـي مـع الـرْ
رَكـــضِ لمحـتـاجٌ لـشـدِّ الـلِّـجـام
سـألـتُ عـنك الـشـعـرَ فـي المحـفـلِ الْـ
ـمـزدانِ والحـرفِ شـديـدِ الـضّـرام
ونـخـوة المـنـشـد فـي سـاحـةٍ
أيـقـظَ فـيـهـا الـشـعـراء الـنِّـيـام
فـلـم يُـجـبْـنـي غـيـرُ رجـعِ الـصَّـدَى
ولـم أرَ غـيـرَ بـقـايـا الخـيـام
لـقـد تـنـاءَى الـنَّـاسُ عـن بعضـهـمْ
ألـهـاهُـمُ الحـقـدُ ومُـرُّ الخِـصـام
كـلٌّ يـرى فـي وجـهـهِ (الـلاتَ) و(الْـ
ـعُـزى) و(نـرسـيـسَ) وبـدرَ الـتَّـمـام
وهُـمْ فـلا هـذا ولا ذاك كـالـ
ـوهـمِ تَـبَـدَّى فـي عـقـولِ الأنـام

(١) هكذا ورد في الأصل.

يمـضـونَ كـالا شـيءَ مـا الـذي
يـبـقَـى فـأنـتِ يـا نـشـيـدَ الـيـمـام
لأنَّـكِ الخـلـدُ إذا مـا ونَـى الـ
ـخُـلـدُ ومـلـحُ الـدَّهـرِ بـعـدَ الـقَـتـام
ونـخـلـةُ الـوادي وسـفـرُ الـتَّـوا
ريـخِ ومـثـوى الخـالـديـنَ الـعِـظـام
وحُـجَّـتـي إن بَـهـتَ المـنـطـقُ الْـ
ـمـحـتـارُ فـي حـلـقـي وضـاع الـزِّمـام
نـامـتْ ولـكـن فـوقَ جـمـرِ الـلَّـظـى
غـاب ولـكـن فـي عـقـول الـطَّـغـام
فَـانـتـظـروا عـودتَـهـا فـي غـدٍ
وهْـي تـورى فـي الـعـاشـقِ المستهام
كـطـائـرِ الـفـيـنـيـقِ، يُـبْـعَـثُ مِـن
رمـادهِ مـن بـعـد حـرقِ الـعـظـام

صحيفة الصباح

٢٠ أوت (أغسطس) ١٩٩٦

****

في موكب الحسين

أراهُ على مدَى ومَدى ... يُحَمِّلُ كاهلِي الأبَدَا
أراني من عشيرتهِ ... شقيًّا قَطُّ ما سَعِدا
أصبُّ الحزنَ في كاسِي ... أذوِّبُهُ إذا جَمُدا
أنادي يا حسينُ أيَا ... أوارٌ قَطُّ ما خمدا
أجِرني من زمانٍ ضَيْـ ... ـيَعَ الأموالَ والبلدَا
أجرني فالعراقُ غدَا ... كبحرٍ ينفثُ الزَّبدا
وأنتَ بكربلاءٍ لا ... تجيبُ نداءَ من صَمدا
ذكرتُكَ حيث راح الثَّا ... رُ في ساحاتِها وغدا
ولم تسمَعْهُ سامعةٌ ... ولم يرجعْ إليهِ صدَى
لهاثٌ لم يزلْ يشوي ... وتحرقُ نارُه الكَبِدا
إذا خاطبتُ ذاكرتي ... تفارقُ روحيَ الجسدا
أعودُ إليكَ والبلوى ... تمدُّ يدًا وتخفي يدَا
أعودُ إليكَ في زمنٍ ... عصيبٍ جمرُهُ اتَّقَدا
لأسألَ عن بلادِ الشمـ ... ـسِ عن حرفٍ بها عُبِدا
وعن بغدادَ ساحرتي ... لها التاريخُ قد سجدا

وعــن تـلـك الـقِـبـاب ومـا ... حــوتْــهُ ومــن بـهـا رقـدا
فَـكَـمْ غَـــازٍ أنـــاخَ بـها ... وكـم جـيـشٍ بـهـا احْـتَـشـدا
وكـــم ظُـلـــمٍ أحـــاقَ بـهـا ... وكـــم غِـــرٍّ بِـــهـــا لـبـدا
وعـــادت مـثـلـمـا كـانـت ... تـداري الـصَّـبـرَ والجَـلَـدا
أنـــا مـــن كـنـت فـيـك ولـم ... يُـغَـيِّـرْنـي الـــذي وجـدا
ولـــم اخـــضـــعْ لِـنـازلـةٍ ... ولـــم أطـمـــعْ بمَـــنْ وعـدا
حـمـلـتُـك والـــوفَـــا جـرحٌ ... إلـــى الاعـــمـــاقِ قـد نـفـذا
ولـــم أرضَ الـبـديـلَ ولـم ... أُسَـــــاومْ فـيـك مـن جـحـدا
فـأنـت الحـبُّ أنـت الشِّـعـرُ ... أنـــت المـجـدُ إنْ فُـقِـدا
فَـدُومِـــي يـا مـنـارَ الـلـيـ ... ـلِ مـا حـادَ هـنـاكَ حـدَا

تونس في ١٩٩٨/٢/١٠

****

الحسين شهيدًا

يـــا ســـيِّـــدَ الـــشُّـــهـــدَاءِ جِـئْـ
ـــتُـــكَ بـعـدَمـا تَـعـبـتْ رِكـابـي
أمـــشـــي إلـــيـــكَ وفـــي يـدي
قـيـدي وفـــي وجـهـي اغْـتِـرابـي
وأرى عـــذابَـــكَ فـــي لـيـا
لِـــي الحـــزنِ يُـنْـسِـيـنـي عـذابـي
أنـــا فـــي رحـــابِـــكَ يـــا حسـيـ
ـــنُ وأيـــن مـــن عـيـنـيْ رحـابـي
وأراك فـــي قـلـبـي وأقـــ
ـــرَأُ مـا جـرى لـك فـي كـتـابـي
فـيـمـيـدُ بـــي حـــرفـــي وأعْـــ
ـــجـزُ بـعـدُ عـن ردِّ الجـواب
نَـسْـلَ الـبـتـولِ مَـلَـكْـتُـمُ
قـلـبـيْ وطـــاب بـكـم شـرابـي
وسَـــبَـــيْـــتُـــمُ روحـــي ودو
نَ الـــرّوحِ مـا ضـمَّـت ثـيـابـي
وشَـــــدَا بـــذِكْـــركـــمُ لِـسَـا
نِـــي فـــي ابـتـعـادي واقـتـرابـي
لَـــهَـــفـــي عـلـيـكَ مُـــجـــدَّدًا
لـهـفِـي عـلـى زيْـــنِ الـشَّـبـاب

الـــطَّـــاهـــرُ المـــيـــمـــونُ مَـــنْ
سَـــاقَ الجـمـيـعَ إلـــى الـصَّـــواب
هِـــبـــةُ الـــزَّمـــانِ إلـــى الـزمـا
نِ وتُحْـفـةُ الـعَـجَـبِ الـعُـجَـاب
مَـــــنْ أســـتـــريـــحُ لـــه إذا
مـــا لـــجَّ دهـــري فِـــي اكـتـئـابـي
يـــا مـــشـــهـــدًا ضـــمَّ الـشـجـا
عَـــةَ والمحـــامـــدَ فـــي إهـــابِ
عـــدْ بـــي فـقـد أشـفـقـتُ مـن نـفـ
ـــسـي ولـــم أعـــــرفْ مـآبـي
أدعـــو الحـــسـينَ وقـــد فَـــرَرْ
تُ مـن الـــرِّحـــابِ إلـــى الـرِّحـاب
أدعـــــو الحـــســـينَ ودونَـــــهُ
مـــا شـئـتَ مـــن شُـــمِّ الـهـضـاب
أدعـــو الحـــســـينَ ومـــا عـلـمْـ
ـــتُ بـــأنـــهُ سـبـب اضْـطِـرابـي
أدعـــو الحـــســـينَ وقـــد عَـطِـشْـ
ـــتُ ولـــم أجـــدْ حـلـوَ الـشَّـــراب
أدعـــو الحـــســـين إذا هَـجـعْـ
ـــتُ وفـــي ذَهـــابـــي أو إيـابـي
أدعـــــو الحـــســـيَن ولا عـــجٌ
فـي الـقـلـب يـحـرقُ فـي الـشـهـاب
يَمَّـــمْـــتُ هـــاتِـــيـــكَ الـقـبـابِ
وكـــم حَـنـنـتُ إلـــى الـقِـبـاب

تَـعْـشَـى الـعـيـونُ عـلـى المـدى
وتـغـوصُ فـي الـذَّهـبِ المـذاب
تـدعـو الـسَّـحـابَ وقـد أنَـا
فَـتْ فـي الـشـمـوخ عـلـى الـسَّـحـاب
ودخـلْـتُ والـعـتـبـاتُ رو
ضٌ لـيـس يـدخـل فـي الحـسـاب
وبـدَتْ لـعـيـنـي كـربـلا
وتَـرًا عـلـى شـفـتـي رَبَـاب
ودخـلـتُ والأشـجـانُ مَـوْ
جٌ قـد تـلاطـمَ فـي اضْـطِـراب
ووقـفـتُ أَلْـتَـحِـفُ الـسَّـوا
دَ وقـد عـجـزتُ عـلـى الخِـطـاب
يـا لائِـمـي بـالـلـهِ دعْـ
ـكَ ومـا بـلاك مـنِ الـعـتـاب
أنـا مـا أردتُ ومـا أَرَدْ
تُ سِـوى انـتِـمـائـى وانـتـسـابـي
ومَـحَـبَّـتـي وهـيَ الـتـي
أصـفـيـتُـهـا لأبـي تُـرَاب
وبَـنـيـهِ مَـن عـاشـوا بـخـا
طـرتـي ونـلـتُ بِـهـم رِغَـابـي
فـعَـلـيـهِـمُ مـنـي سَـلا
مِـي فـي الحـضـورِ أوِ الْـغِـيـاب
١٩٩٧/٦/١١

****

على قبر القاضي عياض

قد زرتُ قبرَكَ يا عَيا ... ضُ وأنتَ خيرُ الأولياءِ

وقرأتُ في قلبي «المدَا ... ركَ» واشْتَفيتُ من الشِّفاء

وذكرتُ عهدًا كنتَ فيهِ ... ككوكبٍ وسْطَ السَّماء

ما بينَ (سَبْتَةَ) و(الجزيرةِ) ... حَلَّ ركبُ الأتْقِياء

يَتَصفَّحونَ كتابَ هـ ... ـذا الكونِ من أَلفٍ لِيَاء

عياضُ يا هادي الهُدَا ... ةِ ويا منارَ الأتْقِياء

بمحمدٍ نلتَ الوسِيـ ... ـلَةَ وارتفَعْتَ إلى العَلاء

ها قد أتاكَ المستَهـ ... مُ يَلُمُّ أذيالَ الرَّجاء

يتلمَّسُ البركاتِ في ... مثواكَ يجأرُ بالدّعاء

متقربًا لله بالْـ ... أخيارِ أصحابَ الولاء

أصْفَيتُهم حُبِّي وعِشْـ ... ـتُ الدهرَ أمنَحُهمْ ولائي

مراكش ١٩٩٧/٦/٢٢

****

يـا طـبيبي

يـا طبيبي قـد مَـلَّـنِـي الإنتظارُ ... وشكـا الليلُ وحْـدتـي والنَّـهارُ
أنـا فـي سَـكرتـي أصـــارعُ آلا ... مِـــي فـلا صـاحـبٌ ولا ديَّـار
أنا ذوَّبتُ مهجتي في كؤوس الشْـ ... ـشِعْرِ والشِّعرُ في الحياةِ منار
للذي ضـيَّـعَ الـطريـقَ ولـم تَـعْـ ... ـرِفْهُ في زحمةِ الطريقِ الدِّيار
يا طَبيبي اطمأنَّ قلبي إلى طِبِـ ... ـــبِ حـديـثٍ كـأنَّــه الـنّــوَار
ضَمَّدَ الجرحَ وهو في الصدر يشتدْ ... دُ وجـرْحـي من الـقديم جُـبَار
يا طبيبي شُلَّتْ خُطاي وما عا ... دَ ليَ اليومَ في الحياة اصْطِبار
يـتـحـدَّانـيَ الـفـراغُ فَـتَـنْـهَـلْـ ... ـلُ شكاتي فَيحتويها الجِدار
وأنَا مَن طوى البلادَ من الشَّرْ ... قِ إلى الغربِ واجْتَواه السِّفَار
يا طبيبي خُـذْنـي إليك وحَـدِّثْ ... نبضَ قلبي فَـعِـنْـدَهُ الأخبـار
فَسَيُنْبِيكَ أنَّـه عاشـقٌ مِن قَبْـ ... ـلِ أنْ تـعرفَ المـيـاهَ البحـار
ومـحـبٌّ يـهيمُ بـالحـبِّ أنْ غَـرْ ... رَدَ طـيـرٌ أو فَـتَّـحَـتْ أزهـار
يـا طبيبي كُـنِ الـرفـيقَ بقلبي ... عندمـا لـم يـكُـنْ لـديَّ الخَـيَـار

المستشفى العسكري
١٩٩٥/٣/٢١

****

قلبـــي

كُـــنْ كـمـا شـئـتَ طـالـمـا أنـــتَ قلبي
بـعـدَمـا بَـــانَ أنَّ ذَنْـــبـــكَ ذَنْـبِـــي
أنـا أســرفْـــتُ حـــينَ حـمَّـلْـتُـكَ الـعـب
ءَ وحـيـدًا وتُـــهْـــتُ فـي كـلِّ دربـي
وأتـــيـــتُ الـــهـــوَى فَـصُـــغْـــتُـكَ منه
فَـبَـرانِـي الـهَـوى ونـاديـتُ حَسْبي
يـا شَـبـيـهَ الجـبـالِ عـفـوكَ إنِّـي
قـد تَجَـنَّـيـتُ إذ حَـمَـلْـتُـكَ جنبي
اذرعُ الـلـيـلَ حـين يـدعـونـيَ الحـزْ
نُ مـنـادٍ مـن كـلِّ حَـــدْبٍ وصَـوب
فَـــأُعَـــاديـــهِ طـائـعًـا وأنـــا مـا
كـنـتُ يـومًـا لـغـيـرِ حـزنـي الـمُـلـبِّـي
ثُـــمَّ آتـيـكَ مـنـه بـالـكـأس كـي تَشْـ
ـربَـهـا تـسـتـحـثُّ نـخـبًـا بِـنَـخْـب
بـــيَن ثـانـيَّـةٍ وثـالـثـةٍ والـعَـدُّ
لا يـنـتـهـي وأنـــــتَ بـقـربـي
كـــانَ يـكـفـي بـــأن أراكَ خَـلـيًّـا
فـــي مـكـــانٍ مـــنَ المـبـاهـج رَحْـب
لِأَجُـــــرَّ الـهـمـومَ نـحـوكَ جـرًّا
وأُرَبِّـــــي مـن جـنـسـهـا مَـا أُرَبِّـــي
عَـجـبـي مـنـكَ كـيـف تحـمـلُ أثـقَـا
لـي وتـرمـي بـهـا إلـى قَـعْـرِ جُـبِّ

لا تَـنِـي تحـسـبُ الـدقـائـقَ مـن عُـمْـ
ـــريَ دومًـــا مـا بـين سـهـلٍ وصَـعْـب
أنـــتَ جـمَّـعـتَ كـــلَّ مـــا أقـتـنـيـهِ
مِـــن مَـــراءٍ تُجْـلـي الـعـقـولَ وتسبي
وحَـبَـسْـتَ الأســـرارَ فـي حـيـثُ لا أذْ
نٌ ولا عـــاتـــبٌ يُـكَـثِّـرُ عُـتـبـي
أيُّ بـحـرٍ فـي عـمـقـهِ يـعـجـزُ الـغَـوْ
وَاصُ والمـــوجُ بـــينَ طـــافٍ ولُجْـب
أنـــتَ دنـيـا مـن الأعـاجـيـبِ لا تَـفـ
ـتَـأُ تُـبـدي مـن الـفـنـون المـخَـبِّـي
أنـــتَ نـــورُ الحـيـاةِ تُـطْـفَـأُ أن أَطْـ
ـفَـأْتَـهـا أو تُـضِـيـئَـهـا بـالـشُّـهْـب
نَـبِّـنِـي عـنـكَ أيـهـا الـقـلـبُ واصْـدُقْـ
ـنـي وأنـــتَ فـي الحـــادثـــاتِ المـنـبِّـي
وَدلـيـلـــي إذا فَـــقَـــدْتُ دلـيـلـي
وصـديـقـي إذا تَـغَـيَّـبَ صَـحـبـي
هـل تـرانـي كـمـا أراكَ وهـــل تَـرْ
حَـمـنـي مـنـك ان تـفـاقـمَ خَـطْـبـي
ويـقـرُّ الـقـرارُ فـي الـصَّـدرِ مـا عشْـ
ـتُ ويـرتـاحُ فـي الـــمَـواطِـنِ لُـبِّـي
أم تـرى ســوف مثلما كـنـتَ تبقى
تَـسـتَـحـثُ الخُـطـى لِـسَـلْـبـي ونَـهْـبـي
قُـلَّـبًـا حُـــــوَّلًا لأنـــكَ قَـلْـبٌ
لا يـــرومُ الـسُّـلـوانَ فـي أيِّ شِـعْـب

المستشفى العسكري
١٩٩٨/٣/٦

****

تونـــس

أطْـلِـقِـيـنـي أنـــا المـقَـيَّـدُ بـالحـبْـ
ـــبِ أيَـــا تـونـسَ الـهـوي أطلـقـيـنـي
مُـــذْ تـفـيَّـأتُ ظـلَّـكِ الـــوارفِ الـفَـيَـ
ـنـانِ أَشْـفَـقْـتُ مـن سـهـامِ الـعُـيـون
فَـصِـلِـيـنـي اذا تـوزعـت فـي الآ
فـــاقِ فـي دارِ غـربـتـي فَـصِـلـيـنـي
كـنـتِ أنـــتِ الـــذي أبـــانَ بـيـانـي
واسْـــتَـــوتْ فـيـكِ غِـيـرتـي وجُـنـونـي
وعَـزفـتُ الحـــبَّ الـكـبـيـرَ ومَـــن غَـيـ
ـــركِ يَـشْـفـي بـالـقـربِ نـــارَ حَـنـيـنـي
نُـــورِكِ المـزدهـي أمِ الخُـضـرةُ الـولْـ
ـهَـى أم الـبـحـرُ مـائـجُ بـالـفُـتُـون
أمْ حكايا التـاريـخِ تُـــرْوَى عـنِ الأجْـ
ـــدادِ والـلـيـلُ سـابـحٌ فـي الـسُّـكـونِ
خَـلَّـدتْـكِ الأيـــامُ لـم تـسـتـطـعْ أنْ
تَـــتَـــحـــدَّاك فـــي زحـــامِ الـــقُـــرون
لـو يـذوقـوا مـن حُـبِّـهـا مـثـلـمـا قـدْ
ذقـــتُ لاسـتـسـلـمـوا لحُـضـــنٍ أمـين
أنـــا نَـــضَّـــدْتُ ذكـريـاتـي عـلـى أرْ
ضِـــكِ مـــا بـــيَنَ ظـــاهـــرٍ ودفـــيِن

وصَـحِـبـتُ الأحـــزانَ طـورًا فَـطَـوْرًا
لـم أجـدْ فـي مَـسـيـرتـي مـن مُـعـين
عَـاتِـبـيـنـي إنْ شـئـتِ إنَّ عـتـابَ الـ
أمِّ مِـــنْ حُـــرْقَـــةِ الجـــوَى يُـشْـفِـيـنـي
وصِـلِـيـنـي فـلـيـس غـيـرُكِ أهـوا
هُ ولا أصـطـفِـيـه أو يَـصْـطَـفـيـنـي
أنـا إن قـلـتُ تـونـسٌ فـتَّـحَ الـزهْـ
ـرُ وغَـنَّـتْ أطـيـارُهـا فـي الـغُـصـون
أنـا إنْ قـلـتُ تـونـسٌ رقـصَـتْ فـي الـ
ـقـلـبِ ذكـرى الـصِّـبَـا بـزهـوِ الـسِّـنـين
أنـا إنْ قـلـتُ تـونـسٌ يـزهـرُ المـجـ
ـــدُ عـلـى كـلِّ هَـضْـبَـةٍ وحَـــزُون
أنـا إنْ قـلـتُ تـونـسٌ يـشـمـخُ الـتَّـا
ريـــخُ فـي طـلـعـةِ الـصَّـبـاحِ الـمُـبـين
ثـمْ تَـشَـمَّـمـتُ عـطـرَهَـا فـتـداويـ
ـــتُ ومَـــرَّغـــت فـــي ثـراهـا جـبـيـنـي
هـــيَ أنـشـودتـي إذا مـا تَـغَـنَّـيْـ
ـــتُ بـهـا أو لَـهـا وفـاضَـتْ شُـجـونـي
كـلُّ شـبـرٍ بـأرضـهـا مَـهْـبـطُ الـرُّو
حِ أُفَـــدِّيـــهِ بـالـعـزيـزِ الـثَّـمـين
وأراهُ بِـــعَـــينِ قـلـبـي إنْ غِـبْـ
ـــتُ ولا شـــيءَ بـعـدَهُ يَـعْـنِـيـنـي

المستشفى العسكري

١٩٩٨/٣/١٧

****

أبونــواس[1]

يـبـتـدي نــازجًــا شـريـدا ... ثــمَّ مــن بـعـدِهــا طـريـدا
إنْ تَـقُــلْ إنَّـــهُ الـشـهـيـ ... ــدُ فَــأكــرمْ بــه شـهـيـدا
أتـــــــراهُ يـــزيـــدُ قــدْ ... عــادَ مُـسْـتَـنـسَـخًـا يـزيـدا
يـسـهـرُ الـكـرخَ وهْــوَ عيـ ... ــدٌ ويُـعْـلِـي بـه الـنَّـشـيـدا
كـم بـكـى شَــجْــوَهُ فَـحـيْـ ... ـيَـرَ مـن دمـعـهِ الـقـصـيـدا
ســـــادرٌ لــيــس يَـرعــوي ... وبــه الــدهــرُ لــن يـجـودا
ظـالـمٌ وهــوَ مَــن بــهِ الـظْـ ... ـظُـلـمُ قـد حـاقَ واسـتـزيـدا
قــمــرُ الــنَّــخــلِ يــا سـمـ ... ـيـرًا هـنـا سـامـر الـوجـودا
مــن أبــاريــقِــكَ الــتــي ... جَـعَـلـتْ وعْـدَهَــا وعـيـدا
غـيــرَ أنَّ الـــذي تـريْـ ... ــدُ مـضـى ممـعـنًـا بـعـيـدا
قـد عَـرَفْـتَ الحـيـاة تَحْـ ... ـتَـزُّ مـن حُـبِّـهـا الـوريـدا
كــم ســـــؤالٍ ولا جَــوا ... بٌ وكـم مِـن هــوًى أُبـيـدا
تــعــبٌ إن حـمـلـتـهُ ... ضـائـعٌ إنْ غـدَا وحـيـدا
لــم يــكــنْ مـثـلَـهـمْ ولا ... أحــدٌ مـثـلَـهُ اسْـتَـجـيـدا
أثْــقَــلَــتْــهُ تجـــاربُ الـ ... ـعـمْـرِ والـعـمـرُ لـن يـعـودا

(١) ليس هو الأسطورة ولا هو التاريخ. ولكنه الذي لا يشبهه أحد.

فـأتـى يُـحْـكِـمُ الأدا ... ءَ ويَسْتشرفُ الحدودا

نـافـذٌ يـنـثـرُ الـكـلا ... مَ ويستقبلُ الوليدا

عَـازفٌ لـم يَـدَعْ بـهـا ... وتَـرًا فـي الـدُّنَـى فريدا

يغتلي الشَّوقَ فـي جـوا ... نـحـهِ ثـائـرًا عـنـيدا

والمدى لا يـرام والْـ ... ـمـدُّ لا ينتهي شديدا

لَـطُـفَ الجـوُّ عـنـدَهُ ... وصـبَـا مـا صَـبـا عنيدا

دأبُـهُ الـقـنـصُ يـا تُـرَى ... غـلـبَ الـصـائـدُ المصيدا

طـالـبًـا كـلَّ مستحيـ ... ـلٍ بـه يـقـهـرُ الحديدا

كـان ثـانـيْ ثَـلاثـةٍ ... خَـلَّـدُوا ذكـرَهـا عـهـودا

الـنـواسـيُّ ثـم بـغـدا ... دُ تـسـتـقـبـلُ الـرشـيـدا

كـان وعْـدًا فـأنجـزَ الـ ... ـوعـدَ فـي ظلِّـهـم حميدا

وارتَـوى مـن مَـعِـيـنـهـمْ ... زمـنٌ لـم يـزلْ لـدودا

والأسَـاطـيـرُ فَـتَّـحَـتْ ... فـي أراضـيـهـمُ الـورودا

ظـهـرتْ ألـفُ لـيـلـةٍ ... تـنـشـرُ الـغـابـرَ المجيدا

تـارةً راضـيًـا وآو ... نـةً يـسـكـنُ الجـحـودا

لاهـبُ الـقـلـبِ نـارُهُ ... أبـدًا لاتـرى الخـمـودا

يَـتَـخـطَّـى زمـانَـهُ ... مُـرغـمًـا جـهـده الجـهـيدا

فَـهْـوَ فَـذٌّ لـكـلِّ عَـصْـ ... ـرٍ وأكْـرِمْ بـه عـميدا

إنْ هـجَـا فـهْـوَ سـاخـرٌ ... يقتفي الحاقدَ اللدودا

أو رثَــى فـهـوَ جـالـبُ الـ ـحـزنِ يـكـوي بـه الجـلـودا
وإذا مـا أحـــبَّ كَـسْـ ـسَـرَ مِـن حـبِّـهِ الـقـيـودا
سـابـحٌ فـي مـتـاهـةِ الـذْ ـــذاتِ يمـشـي بـهـا وئـيـدا
لـيس يسلو الـدّنـانَ والـ ـبـالـيـاتِ والـــرُّقـــودا
مُـسْـتـفـيـقًـا عـلـى الـوجـو دِ يـرى الحـقَّ أن يـحـيدا
قـد وعـــى كـــلَّ عـصـرِهِ سـابـحًـا بـحـرَه المـديـدا
تـلـكَ بـغـدادُ مـا ونَـتْ تـقـهـرُ الـبـاغـيَ المـريـدا
تـزدهـي فـي صـحـائـفِ الـدْ ـدَهـرِ لا ترتضـي السَّـنيدا
قَـــهَـــرتْ كـــل ظـالـمٍ وغـــدتْ تـسـحـبُ الـبُـرودا
هِـــيَ والـنـخـلُ تـوأمـا نِ ولـلـنـخـلِ أنْ يَمـيـدا
أيـهـا الـعـاشـقُ الـذي لـم يـــزلْ يـطـلـبُ المـزيـدا
عَـصَـرَ الـشِّـعـرَ مـن أحـا سـيـسـهِ مُـبـدئًـا مُـعـيـدا
نـــازفًـــا مـــن جـراحـهِ ضـاربًـا يـقـهـرُ الـنُّـجـودا
واقِـــفًـــا مـثـلَ دوحـــةٍ بَـسَـطـتْ ظِـلَّـهـا الـرَّغـيـدا
أتـــراكَ اسْـتـفـقـت والْـ ـمـوتُ يـسـتـنـزفُ الـكُـبـودا
وعـرفـتَ الـذنـوبَ كُـثْـ ـرًا تـراهـا الـعـيـونُ سـودا
فَـخـلـطـتَ الإيمـــانَ بـالْـ ـعـفـوِ تـسـتـعـطـفُ المـجـيـدا
وهْـوَ أوْلَـى بـالـعـفـو والـصْـ ـصَـفْـحِ إن مـذنـبًـا أقـيـدا

٢٠٠٠/١/١٨

✱✱✱✱

المحتوى

- تصدير، عبدالعزيز سعود البابطين ٣
- ذهابٌ وإياب ٥
- الشِّفاهُ الظِّماء ٦
- المبعـــدون ٧
- العيـــــد ١٠
- المقصورة ١١
- بيتٌ له سبعةُ أبواب ١٥
- لا... النَّاهية ١٨
- لـــــوم ٢٠
- كبرياء ٢١
- اعتراف ٢٣
- وطـــن ٢٥
- قتـــلٌ ٢٧
- الحديثُ حديثٌ ٢٩
- قدرُ المواهبِ مرّةً أخرى ٣١
- عَـرِيبٌ ٣٥

- ثابت يبحث عن أخيه عقيل ٣٨
- ويبقى الشعر ٤٢
- شعراءٌ من ورق، وشعرٌ من غبار ٤٥
- الغريبـــــان ٤٨
- نفحات نبوية ٥١
- مِنَ الينبوع ٥٤
- حديث عن الحاضرة الغائبة ٥٧
- أغنية من خلف جدار الصمت ٦١
- في موكب الحسين ٦٤
- الحسين شهيدًا ٦٦
- على قبر القاضي عياض ٦٩
- يا طبيبي ٧٠
- قلبـــــي ٧١
- تونـــــس ٧٣
- أبونــواس ٧٥
- المحتوى ٧٨

✷✷✷✷